سلسلة فضائح الحضارة الغربية ٣

الفاتيكان والإسلام

الأستاذة الدكتورة
زينب عبد العزيز

القدس
للنشر و الإعلان
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاتيكان والإسلام

الفاتيكان و الإسلام

الأستاذة الدكتـورة

زينب عبد العزيز

أستاذ الحضارة - كلية الآداب
جامعة المنوفية

القدس
للنشـر والإعـلان والتسـويق
القاهـرة

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

القدس

للنشر والإعلان والتسويق

العنوان: ١٤ ش حسن محمد من حسنين دسوقي- حدائق المعادى- القاهرة - مصر.
تليفون: ٥٢٣٨٥٣١ / ٣٨٠٨٢٩٢ / ٠١٠١٣٢١٩٤٣
فاكس : ٣٥٩٨٧٧٩ / ٥٢٣٨٥٣١
ص.ب: ٥٧٣ المعادى

منشورات ومطبوعات

خيرى محمد عبد العليم وشركاه

القدس

للنشر والإعلان والتسويق

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾

[الجاثية: ١٦]

﴿... وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾

[المائدة: ٧٢]

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾

[المائدة: ٧٣]

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾

[آل عمران: ٦٤]

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾

[الأنبياء: ٩٢]

مُقَدِّمَة

تمثل الإصدارات الكنسية بعامة، والخطب الرسولية بخاصة، مجالاً شديد الأهمية، إذ إنه يعكس الموقف الدينى للغرب. ذلك الموقف الذى أصبح ملاصقًا للموقف السياسى، بل ومحركًا له بصورة لا سابقا لها. ولقد ارتبط مفهوم السلطة السياسية بالسلطة الكنسية منذ أولى خطوات الاستعمار، وتواكبت جهود الآليات الحربية والعسكرية، بآليات المبشرين والمستشرقين؛ لتنضم إليها، حاليًا فرق المفكرين والمثقفين.

إلا أن ما يدور على الصعيد العالمى من منتصف الستينات، لم تعد أحداثه بحاجة إلى إثباتات وأدلة. فما على المرء إلا أن يتابع مجريات الأمور؛ ليدرك التحالفات الغربية التى تمت منذ ذلك التاريخ، الذى يمثل نهاية انعقاد المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥)، وليدرك كيف أصبح الفاتيكان يمثل قوة محركة رهيبة للأحداث السياسية.

فلم يعد المسئولون عن تلك الدويلة يخفون تدخلاتهم، بل لقد أصبح البابا يقولها صراحة: "**إن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بمحاورتهم، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة**" .

و لم يعد خافيًا على أحد، كيف تضافرت الجهود السياسية والكنسية لاقتلاع اليسار، لا كبديل للرأسمالية، وذلك بفضل نظامه الاجتماعى الاشتراكى فحسب، وإنما لإلغائه الوجود الكنسى برمته ومنعه من استخدام النفوذ الدينى بغية التوصل إلى مكاسب اجتماعية. وما أكثر المراجع التى تناولت هذا التضافر الحميم بين الكرسى الرسولى، والمخابرات المركزية الأمريكية والأيادى المتواطئة المحلية، والتى سرعان ما يبادرون بفضح دور تواطئها.

كما لم يعد خافيًا على أحد كيف تتضافر الجهود السياسية والدينية لاقتلاع الإسلام، كبديل للمسيحية التى تم تحريفها عبر المجامع على مر العصور، فلقد

تصدعت أركان الكيان الكنسى بسبب كل ما فرضه على أتباعه من تحريف، لم يعد معه المتلاعبون بقادرين على درء ما قاموا ومازالوا يقومون به من "قلفطة" فى العقيدة التوحيدية المنزلة، لعدم تمشى هذه الانحرافات مع الواقع ومع كل ما تم، ويتم اكتشافه من وثائق تدين هذا التلاعب بصورة جعلت الزمام يفلت من أيديهم، الأمر الذى جعل الأتباع، بل وكبار العاملين فى الجهاز الكنسى يتباعدون عنه فى صمت لتفادى العواقب التى يعرفونها، وليستِ الاغتيالات بأفدحها! مما جعل المعنيين بالأمر يصفونه فى مؤلفاتهم بعبارة **"النزيف الصامت للكنيسة"** !

وبدلاً من أن يعدل المحرفون عما اقترفوه من تحريف فى عقيدة التوحيد، والرجوع إلى الحق الذى أنزله الله -سبحانه وتعالى- ها هم يتضافرون للإجهاز على الإسلام والمسلمين؛ لكى لا يجد المنشقون عن تحريفهم عقيدة أخرى يلجأون إليها، فما من مسيحى يلجأ إلى اليهودية، وإنما يهرع إلى الإسلام؛ لذلك كان القرار الذى تم اتخاذه فى مجمع الفاتيكان الثانى، الذى نص -من ضمن ما قرر- على توحيد الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، **"ففى الاتحاد قوة"** على حد مقولة البابا لهم لقبول التنازلات المطلوبة **"لتوحيد الصف فى مواجهة العدو"** الذى هو الإسلام .

وقرر المجمع تبرأة اليهود من دم المسيح، كما ظلوا يرددون فى كل قداس "أحد" لمدة ألفى عام تقريبًا، وهى مصالحة سياسية بحتة لتوحيد الصفوف فى مواجهة الإسلام، فما زال اليهود على موقفهم، من حيث رفضهم الاعتراف بالمسيح إلها، ورفْع سبة العار عن أمه، التى اصطفاها الله، إذ قال سبحانه **﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران :٤٢] .

كما قرر المجمع اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينات، واقتلاع الإسلام فى عقد التسعينات. وهو ما يتم حاليًا على الصعيد العالمى برمته، وليس فى البوسنة

والهرسك، أو غيرها من الساحات التى تدور على أرضها تلك المجـازر المهينـة، إذ إنها تتم بكل أسف بفضـل تواطـؤ المسـلمين، أو صمتهـم المخـزى سـواء أكـانوا حكامًا أم محكومين .

وإذا ما كانت عملية اقتلاع الإسلام تتـم قديمًـا، أو حتـى فيمـا بعـد منتصـف الستينات، فى صمـت وخفـاء، فمنـذ عـام (١٩٨٢م) أصبحـت تتـم فـى وضـح النهار، وتعلن على صفحات المراجع والجرائـد والمجلات، وذلـك بعـد أن أعلنهـا "البابا يوحنا بولس الثانى" صراحة مطالبًا بضرورة "**إعادة تنصير العالم**" بمعنى أن يبادر بتنصير البلدان التى كان يقتلعها من براثن الإلحاد، قبل أن تدخل فـى الإسـلام، واقتلاع الإسلام، حتى لايبقى على الصعيد العالمى سوى كاثوليكية روما!

وأكثر ما يلفت النظر فى الوثائق التى نتناولهـا بـالبحث هنـا: المفهـوم الجديـد الذى يضفيه الكرسى الرسولى على عملية التنصير نفسها، والمفهوم الجديـد الـذى يضفيه على عبارة: "**الحوار**"، تلك العبارة التـى تعـد بمثابـة الآليـة الجديـدة؛ التـى يتلفعون بها لضرب الإسلام .

ذلـك أن عمليـة التنصـير لم تعـد قـاصرة علـى قطـاع المبشـرين والمستشـرقين فحسب، وإنما لقد فرضها البابا فى خطابه المعنون: "**رسـالة الفـادى**" (**١٩٨٧م**) على كافة أتباع المسيحية، أينما كـانوا وأيـًا كـان انتمـاؤهم العقـائدى، وذلـك بموجب تعميدهم، واستنادًا إلى تضحية السيد المسيح وافتدائه"**البشر أجمعين**" وفقًا لآخر ما توصلت إليه الأيادى العابثة فى المجمـع الفاتيكـانى الثـانى. الأمـر الـذى يعنى استخدام الكنائس المحلية، وكافة أتباعها فى هذه العملية، التى أصبحـت تتـم تحت راية الحوار .

أما الحوار نفسه، فلم يعد مفهومه مثلما جرى العرف، على أن يتبادل طرفـان المناقشة الموضوعية، والتى تحسم لصالح الأرجح منطقيًا، وإنما أصبح الحـوار يعنـى فى نظر الكرسى الرسولى: "**فـرض الارتـداد والإجبـار علـى الدخـول فـى سـر المسيح**" مع مراعاة الاحترام، والود، ومظاهر التقدير، ومع مراعاة عـدم الدخـول

فى مناقشات عقائدية، لم يعد بمقدور المبشرين الإفلاتُ منها أو التغلب عليها، لذلك يوصى المخططون بالبحث عن نقاط مشتركة، سواء فى العبادات، أم فى المظاهر اليومية، واستغلالها كمنافذ للتسلل من خلالها للنيل من الإسلام .

وحيث إن مجال الإصدارات الكنسية، والخطب الرسولية، لم يجذب انتباه أئمة المسلمين ومفكريهم، ولم يتطرق إليه إلا النفر القليل، إن لم يكن النادر، وحيث إنه أصبح يمثل جبهة هجوم لم يعد من الممكن تغافلها، أو عدم الاستعداد لها، فقد آثرنا تقديم عدة نماذج من هذه الوثائق العلنية المنشورة بعدة لغات؛ ليدرك المسئولون وليدرك كل مسلم وغير مسلم ما تحيكه الأيادى العابثة المتعصبة بالعقيدة التوحيدية، وذلك بمواصلة تحريف المسيحية من جهة، وبمحاولة اقتلاع الإسلام من ناحية أخرى .

لذلك قمنا بعرض وتلخيص وترجمة أهم الفقرات فى كل وثيقة، واستخراج محاورها الأساسية، والرد عليها بقدر معلوماتنا، وفى حدود إمكاناتنا، فليس من باب المبالغة أن نقول: إننا فعلاً -كمسلمين- خاضعون حاليًا لحرب صليبية كاسحة، تستخدم فيها كافة إمكانيات العصر الحديث من تقنيات ووسائل إعلام، إلى جانب ملايين المسيحيين، الذين ينجرفون جهلاً، أو عن عمد بغض الطرف عما يفرضه عليهم المحرفون من العيش والتعامل مع المسلمين بوجهين: فالتسلل البطئ المطلوب منهم القيام به، والتلفع بالأدب الظاهرى، والود، والتقارب المفتعل؛ لتنفيذ ما يطلبه المتعصبون، لا اسم آخر له، سوى النفاق، والغش، والخديعة.

ولن نكفَّ عن ترديد: إنه ليس المطلوب من أحد أن يغير عقيدته، لكن المطلوب هو أن نحيا جميعًا وفقًا لما أنزل الله، وليس وفقًا لما نسجه المحرفون، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ....﴾[المائدة: ٤٤] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ....﴾ [المائدة :٤٧] ﴿..وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة :٤٤] ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾[النحل: ٦٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩] .

فلا إكراه فى الدين – فى الدين الحنيف، قال تعالى ﴿... فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف :٢٩] ومع ذلك لن نكف عن ترديد قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ...﴾[آل عمران:٦٤] .

صدق الله العظيم

من أوربان الثانى
إلى
يوحنا بولس الثانى

من أعظم الملامح الدالة على سماحة الإسلام: أنه ينهى عن القتل إلا دفاعًا عن النفس؛ بل إن القرآن الكريم يأمر بالصبر، أولاً فى مواجهة الاضطهاد، ويقترن الأمر بالصبر بالإعراض الجميل عن المشركين وأفعالهم، لكن حينما يزداد الاضطهاد ليصل إلى درجة المحاصرة؛ بغية الامتصاص حتى فقدان الهوية، أو الطرد والقتل حتى الإبادة، وحينما تصل الفتنة إلى المطالبة علنًا، والعمل صراحة على رد المسلمين عن دينهم، فهنا يصبح الدفاع عن النفس ضرورة حتمية؛ للدفاع عن الإسلام وكيانه، أى إن مبدأ الدفاع يصبح مشروعًا وجهادًا فى سبيل الله.

ويحدد لنا القرآن الكريم نوعية القتال فى سبيل الله بوضوح لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠].

﴿...فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٩٤] .

وتنص الآية على رد العدوان فقط، وعدم الاعتداء، أى أن يكون الرد فى حدود وقف عدوان المشركين، ومنع استمرار اضطهادهم للمسلمين .

ومن ناحية أخرى يوضح لنا القرآن الكريم: كيف أن الفتنة، ومحاولة رد المسلمين عن دينهم تعد عند الله -عز وجل- أكبر من القتل، إذ تقول الآية ﴿....وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا....﴾[البقرة :٢١٧]. لذلك نرى حدود الرد على الفتنة منصوصًا عليها بوضوح أيضًا، قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣] .

وما يدور من أحداث على الصعيد العالمى لم يعد بحاجة إلى أدلة أو براهين: فاضطهاد المسلمين حتى الموت، ومحاولة ردهم عن دينهم خطان متوازيان، يقودهما تيار التعصب المسيحى فى تضافر رهيب، وفى إيقاع محموم لا سابقة له فى التاريخ. ولا نقول شيئًا عن القياس بمقياسين والكيل بمكيالين. لذلك آثرنا أن نتناول الوضع الذى نعيشه من خلال هذا البحث .

من الثابت تاريخيا أن محاربة الإسلام قد بدأت منذ أول ظهوره وبداية انتشاره، بل هناك من الأبحاث والمراجع ما يثبت أن محاربته قد بدأت قبل ظهوره، بكل ما جرى من تبديل وتحريف في المجامع، بدءًا بتأليه السيد المسيح؛ لغلق باب النبوة على سيدنا محمد ﷺ[1] حتى تنصيب السيدة مريم العذراء وجعلها "أم الله"، في الخمسينات من هذا القرن.

أما محاربة الإسلام رسميًا وبتضافر جماعي، فقد بدأت مع الحروب الصليبية التي شنها البابا أوربان الثاني، اليهودي الأصل[2] الذي أعلن قيامها **"باسم الرب"** في مجمع "كلير مونت" عام (١٠٩٥م) .

ولا يتسع المجال هنا لتناول هذه الحروب الصليبية التي كانت مزيجًا من الخطط العسكرية، والصراعات السياسية، والعقائدية، والاقتصادية، التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ولا يتسع المجال لتوضيح كيف أنها كانت محاولة من جانب البابا -في صراعه مع الإمبراطورية- ليمنح نفسه سلطانًا على شعوب أوربا وقادتها، من ملوك، وأباطرة، وأكليورس؛ ليعيد للعالم المسيحي وحدته، من خلال العمل العام والهدف المشترك. ولا كيف أنها كانت تهدف إلى جانب ذلك كله: إلى تحويل الوطن العربي إلى وطن أوربي، فيما وراء البحار، والعرب إلى لاتين كاثوليك، وذلك عن طريق السيف[3]، وهو المخطط الذي لم يخب أبدًا، بل أخذ يزداد اشتعالاً، حتى بلغ الذروة في هذا العقد الحالي .

---

(١) راجع بحثنا "محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام" دار "مج" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (١٩٩٢م) .

(٢) في القرن الحادي عشر تمكنت أسرة يهودية أسسها البير ليوني من السيطرة على العرش البابوي أكثر من مرة، وكان آخر ما قدمته هذه الأسرة: البابا أوربان الثاني، الذي بشر بالدعوة إلى الحروب الصليبية. انظر: الحروب الصليبية، د. سهيل زكار، ص٢١، دار حسان، دمشق (١٩٨٤م) .

(٣) انظر: المرجع السابق: ص٣٥ .

ومنذ ذلك الوقت، لم تكف محاربة الإسلام، وإن اختلفت المسميات وتنوعت الأساليب؛ إلى أن كان المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى عام (١٩٦٥م) الذى نتخذه نقطة تحول نرتكز إليها فى هذا البحث، فقد أسفر هذا المجمع عن قرارين أساسيين لا سابقة لهما فى التاريخ فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية، وهما: تبرئة اليهود من دم المسيح، وإقرار مبدأ التحاور مع الإسلام .

ولسنا هنا بصدد مناقشة الموقف الكنسى المزدوج من هاتين الديانتين، ولا الكيل بمكيالين حتى من حيث الشكل، فقد تم الاعتذار شفاهة للمسلمين، بينما تم الاعتذار، والتأسف لليهود كتابة عن كل ما بدر من أحقاد، واضطهادات، ولا يتسع المجال هنا لتوضيح، أو لمناقشة كيف أن المصالحة مع اليهود قد تمت، بناء على كثير من التحايلات، والمغالطات الدينية، ولا كيف أن هذه المصالحة كانت لأغراض سياسية بحتة. الأمر الذى نطالعه فى العديد من المراجع، ومنها: "**إن السكرتارية الخاصة بالوحدة بين الكنائس قد نجحت، بعد حملة مكثفة من جمع المعلومات فى إقناع الحكومات العربية؛ بالمرمى الدينى البحت فيما يتعلق بالإعلان الخاص باليهودية**"[1] أى إنها مصالحة سياسية بحتة قد تمت من أجل توجيه المزيد من الطعنات للإسلام .

ولقد أهاب المجمع عينه بالجميع: أن ينسوا الماضى، :**وأن يعملوا باجتهاد صادق، سبيلاً للتفاهم فيما بينهم، وأن يتماسكوا من أجل جميع الناس، لحماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الأدبية والحرية**". ويؤكد هذا البيان نفسه الصادر فى أكتوبر (١٩٦٥م) على: "**أن الكنيسة تستنكر كل تفرقة، وكل عنف يقع على الناس بسبب الجنس، أو اللون، أو الطبقة، أو الدين، لأن ذلك يخالف روح المسيح....**" .

---

(1) Encyclopedie Universalis. Paris , Vol .16ومنها كتاب - G Thomas: Dans les couloirs du Vatican Stoc;. Paris , 1983 .

ويا للفرق بين الاستنكار الشفهى، وتلك الأفعال التى تدور على أرض الواقع؛ لتلطخ التعصب المسيحى بدماء الأبرياء وتغرقه حتى الركب ..! فالمرء يصاب بالهلع من كل تلك الحروب العنصرية؛ الناجمة عن التعصب، وخاصة تلك التى وقعت، أو بدأت فيما بين عام (١٩٦٥م) ويومنا هذا، وتحولت المعارك إلى مجازر لإبادة المسلمين مثلما هو حادث فى مسرحية "البوسنة والهرسك"، أو فيما يحدث فى: الهند، وبورما، والفلبين، والصومال، وفى غيرها، على الصعيد العالمى، فى تضافر زمنى واحد، وكلها تحت اسم الدين! فهل هذا هو ماسمى باستنكار العنف الذى يخالف روح المسيح ؟

إن الفرق بين التصريحات المعلنة التى تمخض عنها ذلك المجمع، وبين ما يدور فى الواقع منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا، لا يمكن وصفه بمجرد الكيل بمكيالين فحسب، إذ إنه يكشف عن وجه قبيح للتعصب الكنسى، ما كنا نرضى له أن يوصم المسيحية التى هى -فى الأصل- دين محبة وتسامح. فهذا التعصب يتعامل مع الإسلام والمسلمين بوجهين:

وجه يدعو للحوار، والتعاون الإنسانى تحت زعم التقارب.

ووجه يتخذ كافة التدابير، لا لاقتلاعه من أوربا فحسب، وإنما من العالم بأسره قبل نهاية عقد التسعينات! وهو ما أصبحنا نطالعه فى أكثر من مرجع. وكأن الحوار أصبح يعنى المماطلة وكسب الوقت حتى التمكن من كيل الطعنات. ولا نقول هنا شيئًا عن العلمانية التى تحاربها الكنيسة فى الغرب وتفرضها بمختلف الوسائل على البلدان الإسلامية .

ومن أكثر المتناقضات لفتًا للنظر؛ ذلك الكم المتتالى من رسائل السلام الصادرة عن الفاتيكان، والتى تتغنى به، وتنشده، بينما المعارك الدامية دائرة بمساندة هذه المؤسسة نفسها فى العلن وفى الخفاء[1].

---

(١) ولا نذكر هنا سوى ما ورد بخطاب جون ميجور .

فالدور السياسى الذى يقوم به البابا يوحنا بولس الثانى، لم يعد خافيًا على أحد؛ بل لقد راح البعض يصف السياسة الخاصة للكنيسة الكاثوليكية، بأن أداتها هى:"**التكتيك الرسولى**" الذى لخصه البابا فى عبارة واحدة، وهى :"إعادة تنصير العالم "La Reevangelisation du Monde " وهو ما قام بإعلانه على الملأ عام (١٩٨٢م) فى كمبو ستيل (مدينة شانت يقب) بأقصى شمال غرب إسبانيا .

ويمثل هذا الإعلان، ومطالبة البابا بتنصير العالم، نقطة تحول جذرية، تعد بمثابة إعلان حرب صليبية حديدة، تماثل تلك التى أعلنها البابا أوربان الثانى عام (١٠٩٥م). فمما له مغزاه، أن هذه المدينة هى آخر ما امتد إليه الفتح الإسلامى. وقد ازدادت أهميتها بعد القرن الحادى عشر ومعركة "**الاسترداد**" لتصبح مزارًا يحج إليه مسيحيو الغرب .

بغض الطرف عما فى هذا الإعلان من مغالطة سافرة سنعود إليها عما قليل، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن نفس ذلك التاريخ عام (١٩٨٢م) يمثل أيضًا، إنشاء حزب "**تضامن**" فى بولندا. وهو بمثابة أول معول هدم للكيان الشيوعى الذى كان البابا يوحنا بولس الثانى قد اتفق مع أجهزة المخابرات الأمريكية للقضاء عليه فى عقد الثمانينات .

ومبدأ الدفاع الشرعى عن الإسلام يحتم علينا أن نطرح حقيقة الموقف، وأن نتناول جوهر الموضوع بصراحة واضحة حتى يتسنى لنا -كمسلمين- اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة ما يحاك للإسلام والمسلمين فى إيقاع وتضافر جماعى محموم .

وجوهر الموضوع، الذى يبدو وكأن الجميع يغضون الطرف عنه، والذى يعد من القضايا الأساسية التى لابد من مواجهتها، هو: أن المسيحية لاتعترف بالإسلام، وإن لم تكن هذه المعلومة بجديدة، إلا أننا أصبحنا نطالعها فى كثير من نصوص ما بعد مجمع الفاتيكان الثانى. وقد لخص الأب "ميشيل لولنج" هذه الحقيقة قائلا: "**إن الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الرسالة، لذلك فهى لا تعترف بنبى الإسلام الذى أدانه المسيحيون بصورة سلبية، تهجمية وعدوانية**".

والمؤلفات العديدة -بكل أسف- تشهد على ذلك[1] .....كما يوضح موريس بوكاى من ناحية أخرى قائلاً: "**إن المسيحية لا تأخذ فى الاعتبار أية ديانة بعد المسيح ورسله. وبذلك فهى تستبعد القرآن**"[2] .... وكان الأب "كاسبار" قد أوضح الموقف بنفسه قائلاً، ذلك أيام المجمع الفاتيكانى الثانى: إن هناك من بين رجال الدين الحاضرين من يعتبرون أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه، لأنه يمثل خطرًا بالنسبة للكنيسة، ولا بد من محاربته[3] .

ولا يتسع المجال هنا للرد على هذه الفريات والمغالطات، ولا لتوضيح كيف أنه من الثابت، تاريخيًا، أن السيد المسيح قد تم تأليهه فى القرن الرابع، وكيف أن كل ما تم من تحريف، وتبديل للعقيدة المسيحية، على مر القرون، وفى مختلف المجامع، قد حاد بها عن أصولها الأولى، وكيف أن الإسلام قد أتى كاشفًا لهذا التحريف، ولاغيًا دور رجال الكهنوت، ووساطتهم بين الإنسان وربه. فكلها حقائق يعرفها جميع الأطراف. إلا أننا نود هنا التأكيد على ذلك الإصرار الغريب، على التمسك بما اقترف من تزييف، والإصرار الأكثر غرابة على ذلك

---

(١) والأب ميشيل لولنج: من الأعضاء البارزين فى "جمعية الحوار الإسلامى - المسيحى" الكائنة فى باريس، وهو من الكتاب الموضوعيين، وقد كان منذ عشرة سنوات تقريبًا، فى زيارة إلى لبنان، وعاد منها مصابًا بالهلع مما رآه فى تلك المحن البشعة: التى يتعرض لها الأبرياء هناك على يد اليهود" .

ومما يؤسف له أن يضطر هذا الأب إلى كتابة مقال يستنكر فيه ما كتبه آنذاك، ويعلم الله -تحت آية ضغوط- ففى الثانى من أكتوبر (١٩٩٣م) فوجئنا بمقال بجريدة "اللموند" الفرنسية تحت عنوان: "إلى إخوانى اليهود" يعتذر إليهم فيه عما كتبه منذ عشر سنوات ضد أفعالهم الاستعمارية البشعة، ويندم علنا على توقيعه على ذلك المقال- اللهم لا تعليق!

Le don qu'il vous a fait le Centurion , Paris , 1977 .

(2) La Bible Le Goran et la Science , Seghers , Paris , 1978 .

(3)Vatican II, Ies relations de I'Eglise avec les religions nonchretiennes, le Cerf , Paris , 1966 .

الإيقاع المحموم لضرب الإسلام والمسلمين، وهو الإيقاع الذى زادت ضرباته بعد عام (١٩٦٥م) لتبلغ ذروتها فى ذلك النداء المطالب بتنصير العالم .

وهنا لابد من توضيح : إن العالم لم يكن أبدًا فى يوم من الأيام مسيحيًا بأسره، ثم خرج عن عقيدته أو حاد عنها؛ حتى يطلق نيافة البابا صيحته الصليبية المدوية مطالبًا بإعادة تنصيره، فقد أعطى بذلك "**مباركته" لحملات إبادة لم يعرف التاريخ مثيلاً لها فى الشراسة، ولا فى غياب الضمير**" .

فمحاربة الإسلام التى لم تتوقف أبدًا، وإن عرفت موجات متفاوتة الحدة؛ لعمليات التبشير، أو الضغوط السياسية والاجتماعية والتغريب؛ أخذت تتزايد بعد المجمع الفاتيكانى الثانى بصورة لافتة للنظر، سواء بعد المؤتمرات الخاصة بالتبشير، أم بالمنظمات التى تتولى تنفيذ قراراتها .

ولايتسع المجال هنا لتناول كافة المؤتمرات التى تنعقد؛ لدراسة كيفية تحقيق المزيد من التوغل، والاختراق للعالم الإسلامى لضربه، لكننا نشير على سبيل المثال إلى مؤتمر"لوزان للتنصير" عام (١٩٧٤م)، وخاصة مؤتمر "كولورادو" فى شمال أمريكا عام (١٩٧٨م) الذى حضره مائة وخمسون عالمًا متخصصًا، فى شئون التنصير، وتمت خلاله دراسة أربعين بحثًا؛ تناول كل منها: منفذا من المنافذ، التى يمكن التسلل منها لتنصير المسلمين، ومؤتمر "مسيحى الشرق" المنعقد فى باريس عام (١٩٨٥م)، وقبله بعام واحد المؤتمر المنعقد فى إيطاليا، والذى حضره حشد كبير مكون من ستة آلاف قس، تجمعوا من مختلف أنحاء العالم؛ لتدارس كيفية استخدام الوسائل السمعية، والبصر ية فى التنصير وفى التكوين الدينى.

أما فيما يتعلق بالمنظمات والموسسات الدينية التى تتولى التخطيط والتنفيذ الفعلى، فقد تم إنشاء العديد منها، فى مختلف البلاد، إلى جانب إحياء ما كان قد خبا دوره. ولا نذكر على سبيل المثال، أيضًا، سوى: "**منظمة إيمانويل**" و "**أسد يهوذا**"، و "**الصحوة الكاريزماتيةالكاثوليكية**" التى تحتكر مؤسسة للطباعة والنشر، و"**القربان والتحرر**" و "**البؤر الصغيرة**"، و "**عمل الرب**" .وكلها

مسميات غامضة؛ يتخفى ورائها آلاف العاملين وآلاف الأردية الكهنوتية التى تتضافر جهودها مع جهود منظمة "**العمل الكاثوليكى**" و "**جماعة أمبير**" التى أصبحت تسيطر على ثلاث عشرة دارًا للنشر؛ متخصصة فى كتب الرسوم المتحركة للأطفال. وهذه المنظمات الرئيسية تدير كل منها العديد من المنظمات الفرعية بأسماء مختلفة ومجالات متنوعة .

وتعد منظمة "**عمل الرب**" من أهم هذه التنظيمات، وإن لم تكن بحديثة التكوين، إذ إن الأسقف "**بالاجير**"، قد قام بتكوينها فى الثانى من شهر أكتوبر عام (١٩٢٨م) إلا أنها من المنظمات التى تم إحياؤها بصورة لافتة للنظر، فقد منحها البابا "يوحنا بولس الثانى" ميزة فريدة، دونًا عن بقية المنظمات الدينية الأخرى فى العالم المسيحى، وهى: الاستقلال التام والسيادة الذاتية المطلقة، بعيدًا عن كافة السلطات الكنسية- فيما عدا سلطته المباشرة بالطبع.

ثم قام بعد ذلك فى السابع عشر من شهر مايو عام (١٩٩٢م) بإضفاء صفة القداسة على الأب "بالاجير" الذى أسسها، وهى تضم اليوم أكثر من مائة ألف مجند وتعد من أكثر المنظمات: سرية وأهمية؛ بل يلقبها البعض "**بالماسونية الكاثوليكية**" لشدة وخطورة توغلها فى الشئون الدولية .

وإلى جانب هذه المنظمات فقد تم افتتاح معهد الدراسات الإعلامية الدينية، فى شهر يونيو عام (١٩٩٠م) بمدينة "بروكسل".

ويقوم هذا المعهد بتكوين فريق من الصحفيين الذين يجيدون تناول المواد الدينية إعلاميًا ومن المعروف أن كافة طلاب هذا المعهد من أعضاء منظمة "عمل الرب" هذه .

إلا أن أخطر هذه الأجهزة قاطبة، هو ذلك القمر الصناعى الخاص بالفاتيكان والمسمى بمشروع "**لومن ٢٠٠٠**" أى: "**نور سنة ٢٠٠٠**"، فهو الأداة الطاغية التى يتعين عليها، أن تمطر الإنجيل على العالم بأسره، عبر الأثير، من خلال العديد من الإذاعات الدينية الموجهة، والمترجمة إلى كافة اللغات، التى يتحدث بها

الكاثوليك فى كل قارات العالم. وقد تم هذا المشروع بتضافر الجهود: بين الفاتيكان، والمسئولين فى مدينة دالاس الأمريكية .

وبذلك أصبح التعصب الكنسى يلهث، فى إيقاعه المحموم، مستعينًا بكافة وسائل الإعلام العصرية، وبكافة مجالات العلم ومؤسساته لتنصير العالم؛ الأمر الذى نطالعه بوضوح فى العديد من المؤلفات، وخاصة فى كتاب "الجغرافية السياسية للفاتيكان" الصادر فى أواخر عام (١٩٩٢م) بينما عمليات الإبادة مازالت دائرة .

ويوضح هذا الكتاب، كيف حيكت حرب استعادة أوربا الشرقية من براثن الإلحاد، فى تلك المعركة، التى دارت رحاها بتضافر الجهود السياسية الأمريكية، والتكتيك الرسولى الفاتيكانى على صعيدين متلازمين: من ناحية، البدء بضرب النظام الشيوعى القائم فى بولندا، قبل ضرب الاتحاد السوفياتى، لا من قبيل التجربة فحسب، وإنما لأن بولندا كانت تمثل حلف "وارسو"، الذى أقيم فى مواجهة حلف الأطلنطى، ومن ناحية أخرى، القيام باختلاق الظواهر الدينية الغيبية، وافتعال المناسبات؛ لإحياء الشعور الدينى للمساعدة على قلب نظام الحكم. وهو ما يتناوله الكتاب بالتفصيل، خاصة فيما يتعلق بعام (١٩٨٧م)، الذى أطلق عليه العام "المَرْيَمِى" نسبة إلى السيدة مريم العذراء، والذى بدأ بظهورها -بالجهود **الفاتيكانية**"[1]- فى إحدى القرى السوفياتية فى حدث استعراضى بليغ، أدى إلى إحياء الكنيسة الأرثوذكسية التى عاونت بجدارة على ضرب النظام الشيوعى من الداخل.

وقد تمت إذاعة قداس افتتاح ذلك العام المريمى بالقمر الصناعى **"لومن ٢٠٠٠" فى السادس من يونيو عام (١٩٨٧م) فى سبع وعشرين بلدًا فى آن واحد، بواسطة ست عشرة نقطة ارتكاز، فى ست عشرة كنيسة "مريمية"،** شاركت فى الحدث مباشرة .

---

(1)C.Colonna -Cesari: La Géopolitique Vaticane , la Découverte , Paris, 1992 .

ويستعرض المرجع نفسه "**الجغرافيا السياسية للفاتيكان**" الحقل الثانى لضرب اليسار، وإعادة إحياء الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية؛ حيث الكاثوليك هناك يمثلون (٥٠٪) من كاثوليك العالم. وقد تضافرت الجهود أيضًا، بين القيادة الأمريكية، و"**التكتيك الرسولى الفاتيكانى**" للسيطرة دينيًا عل تلك المنطقة، بعد أن تحولت الكنيسة بها إلى اليسار، وأصبحت تسمى "**كنيسة الفقراء**"، مما كان لايسبب مشاكل جمة للبذخ الكنسى الفاتيكانى فحسب، وإنما كان يُدين موقف الكنيسة برمتها سياسيًا، واجتماعيًا، إلى جانب إدانة هيكلها الداخلى.

و لم نُشِر إلى هذه الشذرات، إلا لتوضيح كيف تتضافر الجهود بين الأجهزة الحاكمة الأمريكية، والفاتيكانية؛ بغية تحقيق المخططات، التى يحيكونها على مرأى ومسمع من العالم، بينما يواصل المسلمون الصمت صبرًا أو تخاذلاً. وبذلك تم ضرب المعسكر الشيوعى فى الثمانينات، وفقًا لما تم الاتفاق عليه، ويبقى الإجهاز على الإسلام وفقًا لما هو مخطط له، أيضًا، وذلك قبل نهاية التسعينات .

إن ما حاولنا توضيحه والتأكيد عليه هو ذلك الموقف المزدوج للتعصب الكنسى من الإسلام والمسلمين. الأمر الذى يخالف قرار التحاور المزعوم، والذى ما زال الجانب الإسلامى غارقًا فى تصديقه، أو يتمشى معه؛ من باب الضعف أو اللامبالاة. وهو موقف لا يمثل فى الواقع، إلا جو الاستكانة المطلوب لتنفيذ المخططات. فإذا ما كانت الأحداث التى أشرنا إليها باقتضاب، كنماذج، تمثل الجانب الفعلى لتراجع الفاتيكان عن قراره إلى النقيض؛ لأن الحوار لا يعنى الإبادة، فإن ما ورد بكتاب "**التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية**" الصادر فى نوفمبر (١٩٩٢م)، يؤكد حقيقة هذا الموقف الذى لا مواربة فيه، والذى لا يمكن السكوت عنه .

و أول ما نود الإشارة إليه فيما يتعلق بهذا الكتاب الدينى الجديد، أنه قد صيغ من أجل تكوين "**الكنيسة العالمية الواحدة**"، التى يسعى البابا إلى إقامتها! وقد تمت الموافقة على إصداره أثناء المجمع فوق العادة، الذى أقيم، احتفالاً، بمرور

عشرين عامًا على ذكرى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى. وتحمس البابا يوحنا بولس الثانى للفكرة وتبنى تنفيذها، خاصة وأن الكتاب السابق، كان ساريًا منذ القرن السادس عشر .

ويرجع حماس نيافته إلى أن الفكرة "**تتفق وفكرته المتسلطة، لتوحيد العقيدة المسيحية**، تحت لواء الكاثوليكية، وفرضها على الصعيد العالمى"(١).

وعلى الرغم من الانتقادات، التى أثارها هذا الكتاب خاصة فى الأوساط المسيحية غير الكاثوليكية، واتهامه بعدم الحياد فى العديد من القضايا؛ وخاصة لعدم إدانته الأسلحة النووية صراحة ولقبوله المنحرفين جنسيًا، ولتحريمه الإجهاض- وذلك إلى جانب فرض ضرورة الإيمان بمعتقدات غيبية جديدة كالملائكة- كما يتهمون موقف الفاتيكان بعدم الأمانة فى القضايا التى تناولها، خاصة وأن هناك من النصوص القديمة، التى كان يتعين عليه الأخذ بها، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب بكل ما به من انحرافات قد أصبح ملزمًا لكافة الكنائس المسيحية رغم كل ما أثاره من خلافات ما زالت دائرة، فإن ما يعنينا من أمره، حاليًا، هو ما يتعلق بالإسلام والمسلمين: ففى البند التاسع من الفصل المعنون: "**عقيدة الإيمان بالكنيسة الكاثوليكية المقدسة**"، فى النقطة الثالثة التى تنص على: أن الكنيسة كاثوليكية، وأن كل كنيسة خاصة هى كاثوليكية، يوجد الجزء الذى ينص على موقف الكنيسة من غير المسيحين، ويبدأ بالعبارة التالية: "**أما فيما يتعلق بالذين لم يتقبلوا الإنجيل بعد، بأشكال مختلفة، فهم أيضا مأمورون بأن يصبحوا شعب الله**"(٢) .

وتعبير "**شعب الله**" حاليًا، لم يعد يرمز فى المفهوم الكنسى إلى اليهود، فقد أسقطته الكنيسة عنهم؛ لتتلفع هى به، وهذه إحدى نقاط الخلاف الداخلية بينهما. إلا أن ما يستوقفنا هنا هو تعبير "**فهم أيضًا مأمورون**"، أى إن الأوامر قد صدرت بتنصير المسلمين وغيرهم .

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص (٩٤) .

(2) Catéchisme de l'Eglise Catholique , Mame - Plon , Paris,1992 .

أما فيما يتعلق بموقف الكنيسة الكاثوليكة من المسلمين بالتحديد، فإننا نقرأ بخلاف ما تقدم فى صفحة (١٨٥) من هذا الكتاب الدينى "**إن هدف الخلاص يتضمن، أيضًا من يعترفون بالخالق.**

أولاً: المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد، الرحيم، حاكم الناس فى اليوم الآخر" .

وقبل أن نسترسل فى هذا النص، تجدر الإشارة هنا إلى عبارة: "**الذين يؤمنون بإبراهيم**" والتى لا تعنى: أن العرب المسلمين ينتسبون إليه أو ينحدرون عن ابنه البكر إسماعيل عن طريق ابنه قيدار، وإنما هم يؤمنون به فحسب! وهذا مجرد نموذج من نماذج لا حصر لها، تتضمنتها محاضر جلسات المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى، والتى تكشف عن مدى تلاعب التيار المتعصب بالألفاظ ليخرج النص الخاص بالحوار مع المسلمين خاليًا من أية إشارات، قد يفهم منها حقيقة ما تم من تحريف على مر العصور .

وهنا يقول الأب كاسبار[1]: "**لقد أعيدت صياغة النص، حتى لايتخذ تمهيدًا لحل المسائل الصعبة، التى ظل النقاش حولها، مثال: النسب التاريخى للعرب، ابتداء، من إسماعيل، وخاصة صلة الإسلام بالرسالة الإنجيلية**" (صفحة٢٠٥)، "**وحتى لا يفهم منها أن الله قد تحدث أيضا إلى محمد**" (٢١٨) "**فالنص النهائى لا يكشف عن أن إبراهيم جد نسبى للعرب المسلمين، ولكن كنمط للإيمان الإسلامى بخضوعه لإرادة الله**" (صفحة٢١١) .

وبخلاف اللعب بالألفاظ، فإن الاستشهاد الثانى، يكشف لنا عن مغزى إصرار التعصب الغربى على إنكار صفة النبوة عن سيدنا محمدﷺ ."**لأن ذلك يفصل جذريًا ما بين العقائد التوحيدية الناجمة عن الجهود البشرى، سواء أكانت**

---

(١) راجع الجزء الخاص بصياغة القرار النهائى الخاص بالمسلمين، وكل ما طرأ عليه من تعديل فى الكتاب الخاص بهذا المجمع .

عقلانية أم لا، وبين الديانات التى هى ثمرة كلمة ا لله شخصيًا، كتنزيل بحت" (صفحة ٢١٨) أى أن الإسلام ليس ديانة توحيدية منزلة .

ونعود إلى ذلك الكتاب الدينى الجديد لنرى أن الكنيسة تعترف: بأن الإسلام مجرد ديانة من الديانات التى تبحث عن ا لله، وهو بحث: **"ما زال فى الظل وتحت التخيل"** لذلك فهى تعتبر كل ما هو طيب، أو حقيقى فى هذه الديانات **"بمثابة إعداد إنجيلي وهبة من الذى يغير كل إنسان، لكى يحصل أخيرًا على الحياة"** .

و**"هدف الخلاص"** هذا يعنى ضرورة فرض الكاثوليكية على المسلمين وعلى العالم أجمع.

ثم يوضح الكتاب عينه، كيف أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية، و **"أنه من واجبها المقدس تبشير كل الذين مازالوا يجهلون الإنجيل" (صفحة ١٨٦)** و"كيف أن الجهود التبشيرى يتطلب صبرًا" **(صفحة ١٨٧)** وأن عملية التبشير تبدأ؛ بالتبشير بالإنجيل إلى الشعوب والجماعات التى لم تؤمن بعد بالمسيح، وتستمر العملية بإقامة جماعات مسيحية، تعد بمثابة علامات على وجود ا لله فى العالم، وفى إقامة كنائس محلية، وبدء عملية محو ثقافى، لتجسيد الإنجيل فى ثقافات الشعوب .

وفيما يتعلق بالناس والجماعات الإنسانية والشعوب، فإن الكنيسة لاتصل إليهم ولا تتوغل فيهم إلا بالتدريج. وبذلك تستحوذ عليهم فى شمولية الكاثوليكية (الفقرتان ٨٥٤، ٨٥٥صفحة ١٨٧، ١٨٨) .

ذلك هو المخطط المعلن صراحة فى كتاب **"التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية"** الصادر فى نوفمبر (١٩٩٢م)، والذى يعد بمثابة توجيه إجبارى على كافة الكنائس والحكومات المسيحية، أن تلتزم به وتتبعه -سواء أرادت أم لم ترد. ذلك هو ما نطالعه فى كتاب متعصب لا يمت إلى الحياد والأمانة بأية صلة، سواء بالنسبة لبقية العقائد بعامة أم بالنسبة للإسلام بخاصة.

كما أنه يأتى منافيًا لما نص عليه المجمع الفاتيكانى الثانى من؛ إقرار حرية العقيدة ومبدأ الحوار. فكيف يمكن أن تكون هناك حرية عقيدية فى الوقت الذى تفرض فيه عقيدة واحدة، وكيف يمكن أن يتم الحوار، فى الوقت الذى تحاك فيه المؤتمرات فى السر والعلن، وتكال فيه الطعنات فى السر والعلن أيضا!

إن مجريات الأحداث بعامة، وخاصة منذ عام (١٩٦٥م) حتى يومنا هذا، تؤكد أننا لسنا فى وقت يسمح بمجرد تبادل الزيارات، وإجراء اللقاءات أو حتى المؤتمرات والتشدق بعبارات شكلية جوفاء عن التقارب بين المسيحية والإسلام. فهذا الموقف لا يمثل فى الواقع، إلا استكانة المسلمين، ومنح الفرص كاملة للتعصب المسيحى، ليعمل بكل ما أوتى من علم، وإمكانات لتنفيذ مخططه الذى لم يعد سرًا ولا خافيًا. فمن الواضح جليًا أننا نعيش فى عصر المغالطة الكبرى: عصر النظام الدولى الواحد، وعصر النظام الدينى الواحد الذى يمثل فى الواقع نظامًا استعماريًا جديدًا تتحد فيه السلطة الأمريكية، والفاتيكانية؛ لاستعمار العالم والسيطرة عليه، ولا نكتب عبارة **"النظام الدينى الواحد"** جزافًا؛ فقد أعلن البابا يوحنا بولس الثانى: شعار تنصير العالم، كما أعلن عالمية الفاتيكان وجعله السلطة الدينية الأولى، والوحيدة فى العالم، وأعلن عن ضرورة إصراره وتمسكه بالأصولية.

والأصولية فى المجال الكنسى تعنى: التمسك بكل ما أجرى فى الديانة المسيحية من تحريف، عبر كل المجامع على مر العصور[1]. كما أعلن عن مركزية الكنيسة الكاثوليكية ومواجهة معارضيه أو منتقديه، بكل العنف اللازم حتى الاغتيالات الكاثوليكية ومواجهة معارضية أو منتقديه، بكل العنف اللازم حتى الاغتيالات[2] .

---

(1) Encyclopédie Universallis, Paris, 1985, vol. 9.

(٢) انظر: الجغرافيا السياسية للفاتيكان.

وهنا لابد من وقفة -كمسلمين- نتدبر فيها كيفية الدفاع عن الإسلام . ففى الوقت الذى أعلن فيه البابا مخططه، لفرض سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على المجتمع الدولى، وتنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما، لم يعد من حقنا التشدق بالعبارات السيارة والمجاملات. ولابد لنا بل؛ ولا مخرج لنا من هذه المحاصرة، إلا بتوحيد صفوف المسلمين للعمل على صد هذه الهجمة الشرسة والدفاع عن الإسلام.

وفى ختام هذا البحث، لا يسعنا إلا أن نطالب نيافة البابا يوحنا بولس الثانى: بتصويب مقولته، فليس من حقه تنصير العالم تحت مسمى أو زعم: **"إعادة تنصيره"**. فالعالم لم يكن فى أى وقت من الأوقات مسيحيًا بأسره . وإن افترضنا -جدلاً- أنه من حقه محاولة إعادة تنصير ممن ألحدوا، أو من كفروا بالمسيحية؛ بسبب كل ما اعتراها من تحريف، وتزييف ثابت تاريخيًا، فلا يحق له إلغاء العقائد الأخرى، وخاصة الإسلام، الذى يعرف نيافته تمامًا أنه أتى مصوبًا، ومكملاً، وخاتمًا للرسالة التوحيدية .

ولا نرى أية صعوبة فى أن يغير البابا عبارته، فللتعصب الكنسى سابقة فى هذا المجال، عندما برأ اليهود من دم المسيح، وحمل ذنب مقتله على البشرية جمعاء. ولقد أدى كل ما أثير من احتجاج على هذا التعميم إلى: أن غيّر الفاتيكان موقفه، أو عباراته، وحمل هذا الذنب على كافة المسيحيين فحسب(١).

وهنا لانملك إلا أن: نناشد البابا يوحنا بولس الثانى الابتعاد عن تيار التعصب الأكمه، الذى يخالف ما أنزل الله عز وجل، والإبحار بخرافة إلى شاطئ السلام الإنسانى العادل، والاعتراف بالإسلام، بدلاً من محاولة محاصرته وإبادته؛ فمثلما عرف الفاتيكان كيف يجتاز حقبة امتدت ألفى عام من الأحداث والعداوات المعاشة، بل ومن الخلافات العقائدية الجذرية التى ما زالت قائمة، لتبرئة اليهود من مقتل السيد المسيح -وفقًا لما يعتقدونه- وقد قام بذلك **"بالتنقيب فى أسراره الذاتية ليكتشف قرابة اليهود ونسبهم إلى المسيح حسب الجسد"**،

---

(١) راجع كتاب "التعليم الدينى الجديد" للكنيسة الكاثوليكية.

وتبرئتهم من قتله. (الكتاب الديني الجديد صفحة ١٨٥) وبذلك تخطى الفاتيكان كل ما كان يفصل بينهما من أحقاد ومجازر. فإننا نناشد نفس ذلك الضمير الحي في الفاتيكان أن يلجأ إلى **"أرشيفه السري"** وأن **"ينقب في أسراره الذاتية"**؛ ليكتشف حقيقة علاقته بالإسلام والمسلمين، وتبرئتهم من كل ما فرضه عليهم من إدانات وتشويه على مر العصور .

فإن كل ما يواجه المجتمع العالمي من مشاكل، بل من كوارث حالية، أو وشيكة -من تلوث البيئة، ونقصان موارد الطاقة، والغذاء، بل ونقصان المياه الصالحة للشرب والري، رغم المحيطات- ولا نقول شيئا عن المجاعات القائمة أو القادمة.

إن كل ذلك ليس بحاجة إلى تكثيف الجهود من أجل السيطرة على الموارد وفرض النظام السياسي الموحد، والدين الواحد بكل ما بهما من ظلم وفريات، وإنما بحاجة إلى تضافر كافة الجهود وفقًا لما أنزله الله من تعاليم حنيفية، قائمة على العدل؛ وتحث على التعاون، والحب، والعمل، والبناء، والعطاء .

كما لا نملك إلا أن نَهيب بالمسلمين -أينما كانوا- أن يكفوا عن التواطؤ، بالصمت أو بالمشاركة، وأن يهبوا من سباتهم، وتخاذلهم؛ ليوحدوا صفوفهم للجهاد الشرعي في سبيل الله، دفاعًا عن حياتهم، ودفاعًا عن كيان الإسلام، مثلما نص القرآن- إن كانوا حقا يؤمنون .

يوحنا بولس الثانى
والإســـلام...!

مقدمة:

فى منتصف شهر أكتوبر (١٩٩٤م)، صدر كتاب جديد للبابا يوحنا بولس الثانى بعنوان: **"ادخلوا فى الرجاء"**.

والطبعة الفرنسية للكتاب: صادرة عن دارى نشر كل من: بلون ومام معا، وتقع فى (٣٣٥) صفحة من القطع المتوسط .

والكتاب عبارة عن(خمسة وثلاثين) سؤالاً، كان الكاتب والصحفى الإيطالى "فيتوريو ميسورى" وهو من المعرُوفين بدفاعهم عن الكاثوليكية؛ قد تقدم بها عام (١٩٩٣م) للبرنامج التليفزيونى الذى كان سيتم إخراجه بمناسبة مرور خمسة عشر عامًا على تعيين "كارول فوتيل" فى منصب البابوية. إلا أن كثرة انشغال البابا ورحلاته المتعددة، لم تسمح بعمل مثل هذا البرنامج الطويل، ونظرا لأهمية هذه الأسئلة، كما يقول البابا، فقد احتفظ بها للرد عليها **"ولم يلق بها فى سلة المهملات"** .

وفى شهر إبريل (١٩٩٤م) تم تسليم ردود البابا إلى الصحفى؛ ليتولى عملية نشرها. وقد آثر "ميسورى" الاحتفاظ بنفس العنوان، الذى كان البابا قد اقترحه. ومما له مغزاه أن يوضح الكاتب الصحفى فى المقدمة أنه كان قد تقدم بعشرين سؤالاً فحسب، إلا أن البابا عندما شرع فى الرد عليها كتابة، قد أسهب فى حديثه، وتناول مشكلات أخرى.

ولتسهيل مهمة القارئ بدا لى من الضرورى، إدخال أسئلة أخرى جديدة على النص. الأمر الذى رفع عدد الأسئلة من عشرين إلى خمسة وثلاثين سؤالاً، كما يكشف فى الوقت نفسه عن عملية: **"توجيه"** النص وفقا لمتطلبات الساعة وظروفها السياسية والاجتماعية. وأهمها التمهيد للخطاب الرسولى .الذى صدر بعد هذا الكتاب بشهر واحد، أى فى (١٤/١١/١٩٩٤م) والخاص باحتفالات الألفية الثالثة .

وينصح الكاتب الصحفى القارئ: أن يقوم بقـراءة "**هـذه النـص الكـاثوليكى بالمعنى الحرفى للكلمة، من أوله إلى آخره؛ فهو يتضمن كل شئ.**

وكل شئ متداخل فيه وفقـا لمنظـور عضـوى" أى إنه أبعـد مـا يكـون عـن التلقائية والبراءة!

وقد قام البابا بمراجعة النص، بعد التقسيمات التى أجراها فيتوريـو ميسـورى، بناءً على الأسئلة التى اضطر إلى إدخالها، وإعادة تقسيم النص الأصلى بمقتضاهـا. وتمت الترجمة إلى أهم اللغات الأخرى من هذا النص الأساسى؛ ليتـم توزيعـه فـى جميع أنحاء العالم فى وقت واحد.

ولا يفـوت الكـاتب أن يوضـح قـائلاً :"**إن هـذه الوثيقـة تـرد علـى احتيـاج "روحى" شرعى وعلى مطلب "أخلاقى" قبل أى اعتبـار سياسـى"** . مشـيرًا إلى أنها تُعنى بالإيمان قبل أى شىء. "**فهذا الإيمان، بكل مايتضمنـه مـن تـأكيدات، ومن جوانب مظلمة، وبكل ما يحتوى عليه من أزمة تتهدده، والمجتمعـات التـى ترتاب منه؛ لأنها لا ترى فيه سوى استفزاز، وتعصب مذهبى وتعصـب دينـى، إن هذا الإيمان يعلن أنه يوجد شـئ آخـر سـوى مجـرد الآراء البسـيطة، فهنـاك الحقيقة الكبرى"** .

وهذه الحقيقة الكبرى: تتعلق كما يقول :"**بعملية التبشير الجديدة"** التى يجنـد لها البابا كافة الإمكانيات السياسية والكنسية .

أما بيان التعريف المنشور على ظهر الكتاب فيقول فى آخر فقرتـين :"**إن هـذا الكتاب؛ عبارة عن حدث فريد، إن الكلمة التى تضفـى عليـه الحيويـة، تدفـع نداءً ملحًا إلى أعماقنا، تدفع نداءً أساسيًا: ادخلـوا فـى الرجـاء ! ادخلـوا فـى الرجاء الوحيد الذى لن يخيبكم أبداً"** !

"**فعلى عتبة الألفية الثالثة، عن طريق الصـوت الـودود للبابـا يوحنـا بولـس الثانى، فإن الله بنفسه هو الذى يعلن لنا عن حبه، بلا كلل"** .

غير أن السؤال الخاص بالإسلام، وبالتحديد - إجابة البابا على هذا السؤال قد خيبت آمالنا فى مصداقية شخص ومعلومات البابا يوحنا بولس الثانى، كما سنطالعه عما قليل !

والأسئلة التى تم طرحها فى هذا الكتاب، وفقًا لفهرس الموضوعات تتناول على التوالى: المقدمة.

البابا: هل هو امتداد حى لأسطورة أو شاهد لله.

الصلاة: كيف ولماذا ؟ .

صلاة "نائب المسيح" .

هل الله موجود ؟

ما هى الأدلة التى لدينا عن وجود الله ؟.

إذ ما كان الله موجودًا، فلما يختبئ ؟

هل يمكن أن نزعم جديًا أن يسوع هو الله ؟

هل تضحية المسيح لانقاذ البشر ضرورية ؟

لماذا الإنسانية فى حاجة لإنقاذ ؟

إذا ما كان الله محبة فما معنى كل ذلك الشر الذى يسود فى العالم ؟

لماذا لا يمكن لله أن يستبعد الشر والمعاناة ؟

هل سيتم انقاذ العالم بأسره ؟

لم كل هذا العدد من الديانات ؟

هل البوذية بديل عن المسيحية ؟

ما الفرق بين "الله" عند المسلمين وإله المسيحيين ؟

هل الشعب اليهودى يجد نفسه فى العهد الجديد ؟ .

هل ستموت المسيحية ؟

هل يمكن قبول تحدى عملية التنصير الجديدة ؟

هل الشباب سبب يدعو إلى الأمل ؟

سقوط الشيوعية: غموض أم معجزة ؟

هل هناك أى خلاص بعيدًا عن الكنيسة ؟

بحثا عن الوحدة الضائعة؛ المسيحيون لم هم منقسمون ؟

المجمع[1] هل هو بداية نهاية الكنيسة ؟

مالذى سيبقى من المجمع ؟

أهو تقهقر أم تجديد ؟

ألم يتم تخطى الكنيسة بتطور العادات ؟

هل يمكن للإنسان أن يلعن نفسه إلى الأبد؟

وما جدوى الإيمان ؟

مالذى يؤسس حقوق الإنسان ؟

لماذا تتشبث الكنيسة بهذا الشكل حول مشكلة الإجهاض ؟

هل التعبد إلى مريم يحيد بنا عن المسيح ؟

ما هى مكانة المراة فى الحياة الاجتماعية ؟

لا تخشوا شيئا ! ادخلوا فى الرجاء .....

ومن سياق هذه الأسئلة، ندرك بوضوح ! أنه قد تم رصها وفقًا لمشكلات الساعة، أو وفقًا للمحن الحالية، التى تواجه البابا فى مختلف المجالات الأساسية، ومنها :

---

(١) عبارة المجمع، طوال هذا النص تعنى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥).

المشكلات الداخلية فى نفس البنيان الكنسى، وبخاصة البنيان الفاتيكانى، وأهمها: تباعد رجال اللاهوت، اعتراضا على ما يتم من تحريف، وانحرافات حياتهم، واعتراضاتهم على السلطات القمعية، وما إلى ذلك .

المشكلات اللاهوتية بين مختلف الكنائس بعضها والبعض وخاصةً فى كل من ألمانيا ! وسويسرا وإنجلترا؛ والمشكلات التى تواجهها الكنيسة الكاثوليكية، خاصة فى المجتمع وتزايد تباعد الأتباع عنها؛ وفتور الإيمان بأساسيات العقيدة، كما تم نسجها لثبوت عدم صحتها، وعدم طاعة تعليمات البابا، خاصة فيما يتعلق بالإجهاض، واستخدام موانع الحمل، ومشكلات توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، ومشكلات مواجهة العلمانية والعمل على اقتلاعها، مثلما قامت الكنيسة بالجهد الأساسى فى اقتلاع الشيوعية، ومشكلات اقتلاع الديانات الأخرى، وخاصة الإسلام.

وبالتالى؛ ندرك من نفس هذا السياق عرض إجابات البابا عليها، بكل ما بهذه الإجابات من توجهات ومغالطات، لقيادة خرافه الضالة كما يقول، ولقيادة سياسة العالم بأسره لتحقيق حلمه الكبير، بتنصير العالم مع بداية الألفية الثالثة .

وإجابة البابا الخاصة بالسؤال المتعلق بالإسلام جد خطيرة؛ لما تحمله من فريات وجهل ومغالطات. وتزداد خطورتها فى هذه الفترة بالذات؛ حيث أعلن البابا عن خطته الخمسية، لتنصير العالم عشية أو بمناسبة قدوم الألفية الثالثة، والعمل على إسقاط ديون العالم الثالث؛ تمهيدًا لعملية تنصيره !

وفيما يلى السؤال الخاص بالإسلام، وإجابة البابا يوحنا بولس الثانى، وتقع فى الصفحات من (١٥٤:١٥٩) من الكتاب المعنون :"**ادخلوا فى الرجاء**". وقد راعينا نفس الشكل التنسيقى الوارد فى الكتاب، حيث كل سؤال تتبعه فقرة تفسيرية، أو استفسارية فى صفحة مستقلة، وتتبعه الإجابة فى الصفحة التالية ببنط أكبر .

مالفرق بين اللهِ عند المسلمين وإله المسيحيين ؟

"إنَّ تناولَنا يختلف بالطبع عندما يتعين الأمر بالمعابد اليهودية وبالمساجد، حيث يجتمع بها الذين يعبدون ا لله الواحد" .

١- نعم[١]. بالطبع، فالأمر يختلف كلية فيما يتعلق بهذه الديانات التوحيدية الكبرى، بدءًا بالإسلام .

ففي بيان مجمع الفاتيكان الثاني المعنون :"في زماننا هذا، يمكننا أن نقرأ ما يلي: "إن الكنيسة تنظر أيضًا بتقدير إلى المسلمين، الذين يعبدون ا لله الواحد، الحى الدائم، الرحمن القدير، خالق السماء والأرض"[٢] .

وسبب توحيدهم هذا، أن الذين يؤمنون با لله[٣] قريبون منا بصفة خاصة.

٢-وإننى لأتذكر حدثا -وقع لى أيام شبابى- حيث كنا نقوم بزيارة دير القديس مرقس بمدينة فلورنسا بإيطاليا، وكنا نتأمل الرسوم الجدارية للفنان "فرا أنجليكو"، وعندئذ، انضم رجل إلى جماعتنا، ووقف يشاركنا انبهارنا أمام عمل الفنان الكبير، الذى كان راهبًا أيضًا، ولكنه سرعان ما أضاف قائلا: "لايوجد هنا أى شيء يصل إلى جمال ديننا التوحيدى المسلم". ولم تمنعنا هذه العبارة من مواصلة زيارتنا برفقة ذلك الرجل، متبادلين النقاش معه ودياً، وبهذه المناسبة، انتابنى شعور مسبق لما سيكون عليه ذلك الحوار بين المسيحية والإسلام، والذى نحاول تنميته بدأب منذ أيام المجمع .

٣-وأى شخص يقرأ القرآن، وهو على دراية مسبقة بالعهد القديم والجديد، سيلحظ بوضوح: سياق الاختزال الذى تعرض له التنزيل الإلهى المسيحى. ومن المحال ألا يُصدم المرء من عدم الفهم، الذى يظهر فى القرآن بوضوح؛ لما قاله ا لله عن نفسه، أولاً: عن طريق الأنبياء فى العهد القديم، ثم لما قاله بصورة نهائية فى العهد الجديد، عن طريق ابنه. وبالفعل، إن كل هذا

---

(١) أرقام الفقرات من عندنا؛ ليسهل التعرف عليها عند قراءة الرد .

(٢) "فى زماننا هذا" الفقرة ٣ .

(٣) قالها بالنطق العربىAlah؛ ليفرق بينها وبين عبارة Dieu بالفرنسية، وتعنى: ا لله؛ للتفرقة بين المسلمين والمسيحيين، وكأنهما إلهان مختلفات فى المفهوم التوحيدى، قبل تحريف المسيحية .

الثراء الخاص، بكشف ا لله عن ذاته، والذى يمثل تراث العهد القديم والجديد، قد تُرِك جانباً فى الإسلام .

٤- إن ا لله القرآنى تطلق عليه أجمل الأسماء المعروفة فى اللغة الإنسانية، لكنه فى نهاية المطاف مجرد إله يظل غريبًا عن العالم. إنه عبارة عن إله جلالة فحسب وليس أبداً "عمانويل" أى: " ا لله معنا" إن الإسلام ليس دين فداء. وهو لا يعطى أية مساحة للصليب ولا للبعث. ولقد ورد ذكر يسوع، وإنما تم ذكره كنبى فقط، عليه أن يمهد الطريق لمجئ "مأأومية"[1] آخر كل الانبياء، ومريم أيضًا الأم العذراء قد ورْد ذكرها، إلا أن مأساة العذراء غائبة كلية. لذلك فإن علم اللاهوت، بل وكذلك علم الإناسة فى الإسلام شديدًا البعد عنهما فى المسيحية .

٥- ومع ذلك، فإن تديُّنَ المسلمين جدير بالاحترام، فلا يمكننا ألا نعجب مثلا باخلاصهم للصلاة، فلا اكتراث، للزمان ولا للمكان، وإن من يطلق على ا لله عبارة ا لله[2] يسقط على ركبتيه، ويستغرق فى الصلاة عدة مرات فى اليوم. إن هذه الصورة تظل بمثابة نموذج للذين يؤمنون با لله الحقيقى، وبخاصة لهؤلاء المسيحيين الذين يهجرون كاتدرائياتهم الرائعة، وقليلاً جدًا مايصلون هم لا يصلون بتاتًا .

٦- إن المجمع قد دعى الكنيسة إلى الحوار مع أتباع النبى والكنيسة، وقد شرعت فى هذا الطريق، وإننا لنقرأ فى بيان "زماننا هذا": "إذا ماكانت قد لاحت، على مر القرون، العديد من الخلافات والعداوات بين المسيحين والمسلمين، فإن المجمع يحثهم جميعًا على نسيان الماضى، وعلى أن يجاهدوا

---

(١) المقصود بعبارة "مأأومية" اسم سيدنا محمد= عليه الصلاة والسلام -كما دأب الغرب على تحريفه من ضمن تحريفات أخرى له؛ لكى لا يستقر اسمه فى الأذهان.

(٢) يقوم البابا هنا أيضا بنفس التفرقة اللغوية بين عباراتى. alah - Dieu للتأكيد على: أن المسلمين يعبدون الها آخر، غير ا لله سبحانه وتعالى .

بصدق؛ للتوصل إلى فهم متبادل، وأن يعملوا معًا على حماية وتشجيع العدل الاجتماعى، والقيم الأخلاقية، والسلام والحرية، من أجل كافة البشر"[١].

٧-ومن منطلق هذا المنظور، فإن لقاءات الصلاة الجماعية[٢] فى بلدة "أسيز" بإيطاليا، قد كان لها أهمية كبرى -كما سبق أن أوضحت- خاصةً الصلاة الجماعية من أجل السلام فى البوسنة، التى أقيمت عام (١٩٩٣م) ولابد أن نضيف إلى ذلك تلك اللقاءات، التى تمت مع المسلمين، أثناء أسفارى الرسولية المتعددة سواء فى أفريقيا أم فى آسيا. وقد حدث أن تكون أغلبية السكان فى البلد الذى أزوره من أتباع الإسلام: إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون استقبال البابا استقبالاً حاراً، ولا من أن يتم الإنصات إليه باهتمام.

٨- إن رحلتى إلى المغرب، حيث كنت مدعوًا من قِبَل الملك الحسن الثانى، يمكن اعتبارها دون أى شك بمثابة حدث تاريخى، فلم تكن مجرد زيارة ودية، وإنما كانت تمثل حدثًا حقيقياً على المستوى الرعوى. وهذا اللقاء مع الشباب فى "الاستاد" الرياضى الكبير بالدار البيضاء (١٩٨٥م)، لا يمكن نسيانه ! إن انفتاح الشباب لخطاب البابا حول الإيمان بالإله الوحيد كان مذهلاً. ولقد كان ذلك بالتأكيد حدثًا لا سابق له .

٩- ومع ذلك، فإن المصاعب الملموسة بشدة موجودة أيضًا. ففى البلدان التى تستولى فيها التيارات الأصولية على الحكم، يتم فيها للأسف تفسير حقوق الإنسان ومبدأ الحرية الدينية بصورة أحادية صرفة: فالحرية الدينية عندهم تعنى حرية فرض "الدين الحقيقى" على كل المواطنين. إن ظروف المسيحيين فى هذه البلدان تكون أحيانًا مأساوية حقاً. والمواقف الأصولية التى

---

(١) "فى زماننا هذا" الفقرة ٣ .

(٢) التى دعى إليها من كل ديانات العالم، كسرًا للحاجز النفسى الذى يفصل بينهما، وتمهيدًا لدمجها كما يخطط لها .

من هذا النوع، تجعل محاولات الاتصال المتبادلة شديدة الصعوبة. غير أن الاستعداد للحوار والتعاون فهما ثابتان من جانب الكنيسة .

لا شك في أن القارئ لهذه الإجابة لايمكنه إلا أن يشعر بالامتعاض! لا لكل ما بها من جهل، وفريات، أو مغالطات متكررة على مدى أربعة عشر قرنًا تقريبًا، ولكن لأنها صادرة عن البابا يوحنا بولس الثانى شخصياً، وفى شهر أكتوبر (١٩٩٤م) .

وهو تاريخ صدور هذا الكتاب. والمقصود بذكر التاريخ هنا هو الإشارة إلى كل ما كتب من ردود من جانب المسلمين، تفنيدًا لهذه الاكاذيب؛ لكى لا نقول شيئًا عن القرآن الكريم الكاشف لما تم فعْلاً من تحريف .

كما ننوه إلى كل ما تم اكتشافه فى الجانب المسيحى، من مخطوطات، ووثائق تصم الأكاذيب المغرضة التى قاموا بها، وإلى كل ما تم إخفاؤه أو تحريفه فى الأناجيل، إلى جانب كل ماكتبه الأمناء من أتباع المسيحية تصويبًا لها أو حتى دفاعًا عن الإسلام .

أما أن يأتى نيافة البابا اليوم، ويعلن على العالم أجمع نفس هذه الأكاذيب والمغالطات، ويواصل نفس هذا الهجوم الممتد عبر القرون، على أيدى ترسانة مؤججة بالمبشرين، والمستشرقين، ومختلف أجهزة الإعلام، التى تم تتويجها بقمر صناعى يدعى: "**لومن ألفين**" ليمطر العالم بالتبشير.... فذلك لا يعنى سوى أحد أمرين لا ثالث لهما بكل أسف: إما أنه يتزعم الهجوم على الإسلام والمسلمين، وبالتالى فهو "يبارك" المجازر الحالية لاقتلاع الإسلام، وإما أنه فى مستوى يرثى له من المعلومات العامة، لكى لا نقول من الجهل، الذى لا يليق بمن هذه مكانته ؟! وفى كلتا الحالتين، فهى وصمة لا تليق بمن يحتل هذا المنصب .

فبابا روما هو الرئيس للكيان المسيحى برمته فى العالم أجمع، بكل ما فى المسيحية من انقسامات وتفريعات لا تعد ولا تحصى!! ورغم تغير ألقاب هذا المنصب البابوى على مر العصور، وفقا للصراعات الدائرة بين السلطة الكنيسة

والسلطة المدنية، فإن البابا يوحنا بولس الثانى هذا يحمل الألقاب التالية: **"أسقف روما، خليفة القديس بطرس، نائب يسوع المسيح، أمير الرسل، الحبر الأعظم للكنيسة العالمية، بطريارك الغرب، كبير أساقفة إيطاليا، رئيس أساقفة المقاطعة الرومية، وعاهل دولة مدينة الفاتيكان"** !! وذلك وفقًا لما هو وارد فى موسوعة بورداس الفرنسية، مجلد **"الفلسفات والديانات**، البند رقم (٩٥١)، بالقسم (٢أ). أى أن له تسعة ألقاب قيادية سلطوية عالمية ومحلية ! .

ومن يحمل كل هذه الألقاب، ومن يتحدث باسم الشخصية الثانية لا لله **"الثلاثى التكوين"** كما يقولون، فلا يحق له أن يكون يمثل هذا التعنت ولا يمثل هذا الانخراط الأبهم. والمفترض فيه أن يكون قمة فى الصدق، والأمانة، والعدل، والمعرفة، وعلى الأقل فى أقرب مستوى ممكن من السيد المسيح الذى يقال إنه يمثله ويتحدث باسمه ! .

وحرصًا منا على ألا تتداخل النقاط الأساسية التى تعرض لها البابا، سنتناول كل فقرة من الفقرات التسع، التى تكون مجمل إجابتها تباعًا. وإن كان لزامًا علينا أن نبدأ بالإشارة إلى نفس تركيبة السؤال، الذى يبدو وكأنه يوجه سياق الإجابة، موضحًا بشكل مسبق أن هناك فرقًا أصلا بين الديانتين التوحيديتين المشار إليهما، وما عليه إلا أن يؤكد هذا الاختلاف .

كما يتضمن التفسير التابع للسؤال إشارة أخرى بأن إجابة البابا، ستختلف عندما يتعين كلامه بالمسلمين أو باليهود، الذين يمثلون موضوع السؤال التالى لسؤال الإسلام فى الكتاب نفسه، وإن كان قد صيغ تحت مسمى "إسرائيل" وليس "اليهودية" **لكى يتفادى نيافته الوقوع فى مأزق عدم اعتراف اليهود للآن بعيسى ابن مريم إلهاً"**. وهو الخلاف العقائدى الجذرى بينهما، والذى لم يُحل حتى الآن: فقد أصبح اليهود، بعد أن كانوا أعداء ألفى عام مضت، هم: "الإخوة السابقين فى الإيمان" وذلك منذ المجمع الشهير، أما المسلمون فهم أعداء اليوم، وأعداء الزمن الممتد منذ بداية انتشار الإسلام، وكشفه لما تم فى المسيحية

من تحريف، ويَتَأَيَهْمَ البابا فى فهم أن المسلمين هم "الأخوة الذين عادوا بالتوحيد إلى مصاره" .

فلا فرق بين "ا لله" فى أى رسالة من الرسالات التوحيدية أصلاً، كما أنزلها سبحانه وتعالى على موسى، وعيسى، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-: إن الرسالة واحدة، وهى أن نعبد ا لله سبحانه وتعالى، خالق كل شىء، وألا نشرك به أحدًا، وبذلك كانت إجابة أبناء يعقوب -عليه السلام- عندما سألهم يعقوب عن عبادتهم، قال تعالى ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا...**﴾ [البقرة: ١٣٣] .

الفقرة الأولى :

يستشهد البابا بجزء من البند الثالث من البيان الختامي للمجمع، والمسمى "**في زماننا هذا**" (٢٨/١٠/١٩٦٥م) وهو البند المتعلق "**بالدين الإسلامي**". وهذا البند مكون من فقرتين تقعان في تسعة عشر سطرا. وتتناول الفقرة الأولى: تحديد معنى الإسلام، وتطالب الفقرة الثانية: بنسيان العداوات والسعي إلى الفهم المتبادل .

وقد استعان البابا بالجملة الأولى لهذا البند غير أنه لم يكملها، وتقول بقية الجملة:"**والذي تحدث إلى البشر**" .... وحذف البابا لهذا الجزء من الجملة، قد لا يدل على شيء في نظر القارئ، غير أننا لو ربطنا هذا الموقف بالظروف المحيطة بصياغة هذا البند أيام المجمع، وكان نيافته من الأعضاء المشاركين الأساسيين، إذ كان بدرجة أسقف وفي منتصف الأربعينات من عمره تقريبًا، لأدركنا الجانب الآخر من موقفه، ومعنى ما قام بحذفه.

ونبدأ بما يتضمنه كتاب "**فاتيكان اثنين**" الصادر عام (١٩٦٦م)، عقب انتهاء المجمع ببضعة أشهر، والذي يتضمن الجلسات التمهيدية، ومحاضرها، وكيفية صياغة البيانات، والتصويب عليها. أي: إنه من الكتب- إن لم يكن الكتاب الرسمي الخاص ببعض كواليس ذلك المجمع .

والجزء الخاص بالدين الإسلامي بقلم الأب "**كاسبار**"(١) ويقع في ست وثلاثين صفحة، (من ٢٠١ إلى ٢٣٦). ومما يدعو إلى السخرية، أن نطالع في بداية هذا البحث: "**أن المجمع لم يتعرض لمشكلة الإسلام ولا لمشكلة الديانات غير المسيحية بصفة عامة، إلا خلال دورته الثانية(١٩٦٢م)، وبشكل عرضي**

(١) أستاذ علم الدين الإسلامي في المعهد البابوي، للدراسات العربية في روما، ومستشار السكرتارية لغير المسيحين، وكان عضوا في اللجنة الخاصة بالإسلام في السكرتارية وحدة المسيحين .

وغير متوقع" أى إنه لم يكن فى الحسبان. بل لقد هاله صمت ممثلو الكنائس الشرقية، وعدم قيامهم بالإشارة إلى الإسلام فى اجتماعاتهم **"وكأنهم لا يعيشون فى تواجد متواصل مع الإسلام والمسلمين"** !

وبدأ الأب كاسبار بتوضيح الحذر الشديد فى تناول قضية الإسلام، وكيف أن الأساقفة المسئولين عن التبشير، لا يتحدثون عنه إلا فيما ندر، لأنهم يعتبرون **"أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه، لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة، ولا بد من محاربته"** (ص٢٠٢). ولقد أثيرت قضية الإسلام لأن البطريارك **"ماكسيموس"** الرابع أوضح أنه لايمكن أن يتحدث المجمع عن اليهود، دون أن يتناول الديانات الأخرى وخاصة الإسلام .

ويوضح الأب كاسبار كيف جاءت صياغة الفقرة الأولى من البند الخاص بالإسلام : **"وأبناء إسماعيل ليسوا غرباء أيضًا على الرسالة التى نزلت على الآباء، لأنهم يعترفون بإبراهيم كأب لهم ويؤمنون أيضًا برب إبراهيم"** (ص٢٠٣) ... وكان النص يتضمن هامشا يوضح أن"أبناء إسماعيل" هم المسلمون.

وعلى الرغم من قصر النص الذى أشاروا به إلى الإسلام، إلا أن الأب كاسبار، يوضح كيف أنه قوبل باعتراض جامح من أغلبية الحاضرين عند التصويت. وذلك اعتراضًا على أن تعبير: **"ليسوا غرباء على الرسالة التى نزلت على الآباء" قد يفهم منها حل للمسائل الصعبة التى دار حولها الجدل طويلاً من قبل، أى: أن سلالة العرب من إسماعيل، وخاصة ربط الإسلام بالرسالة الإنجيلية، ولكى لا يبدو الأمر وكأن الله قد خاطبهم أيضاً"** (ص٢٠٥) .

وتم تعديل النص لاستبعاد الإشارة إلى أن العرب من سلالة إسماعيل، الابن البكر لإبراهيم، وبالتالى استبعاد قرابتهم السلفية لإبراهيم وللمسيحيين أصلاً، أو أنهم أبناء عمومة، واعترض البعض ثانية. وأعيدت صياغة النص للمرة الثالثة بكل التحايلات الممكنة للحفاظ على مارفضه معقل التعصب .

ويقول كاسبار عن التعديل الأخير: إنه يضع سيدنا إبراهيم **"في موضع النموذج الذى يحتذى به المسلمون فى إيمانهم لخضوعه لرغبة ا لله، ولا يضعه فى أصل سلالتهم، ولا فى موضع جدهم الأول، على عكس الصياغة الأولى، التى كانت تبدو تأكيدًا لانحدار العرب من ابنه البكر المفدي "إسماعيل" وتأكيدا لشخصيته كما وصفها القرآن"** (ص٢٢٠) .

ويعلق الأب "ميشيل لولنج"[١] على الصياغة الأخيرة قائلا: **"وهذه الأسطر الخاصة بالإسلام، قد تبدو جد قليلة، بين النصوص المتعددة التى أقرها المجمع الفاتيكانى الثانى. لكن إذا ما قارناها بما كان عليه موقف المسيحية تجاه عقيدة المسلمين، ومجتمعاتهم طوال عدة قرون، لأدركنا أهمية هذه الوثيقة الرسمية ومدى الآفاق التى تفتحها بالنسبة للمستقبل"، "الكنيسة الكاثوليكية والإسلام"** (١٩٩٣م، ص٢٨)، وهو استشهاد لا ينتقد "بأدب" قصر نص البيان، وإنما يشير أيضًا إلى ما كان عليه موقف المسيحية من الإسلام والمسلمين، طوال عدة قرون .

و لم نورد ما تقدم إلا لنوضح أن معقل الفاتيكان، وكواليسه يعلم تمامًا معنى الإسلام وموقعه بالنسبة للمسيحية واليهودية، وموقفه منها، وكيف أنه التنزيل المكمل للرسالة التوحيدية، وقد أتى مصوبًا لما اقترف من تحريف. ولا يدل حذف البابا يوحنا بولس الثانى لنهاية الجملة الأولى فى استشهاده، إلا على مدى تعصبه، وإصراره على استبعاد حتى أن ا لله قد خاطب المسلمين أيضا ... وأنه قد خاطبهم بالطبع بالوحى إلى سيدنا محمد ﷺ، والذى يواصل البابا محاولة محو اسمه، أو تحريفه، كما سنرى عما قليل .

---

(١) عضو جمعية الآباء البيض. حاصل على ليسانس فى اللغة العربية وآدابها، وعلى دكتوراة فى الأدب، وله العديد من المؤلفات. وهو السكرتير العام لجماعة الأبحاث الإسلامية - المسيحية.

الفقرة الثانية :

تكشف هذه الفقرة عن كيفية اختلاق البابا للموقف بغية الزج بعبارات تفي بغرضه

فما العلاقة بين جماعة تشاهد، أو تتأمل رسومات جدارية، وعبارة " **لايوجد هنا أى شيء يصل إلى جمال ديننا التوحيدى المسلم**" ؟!

أولا: نقول للبابا: إن صياغة نيافته للعبارة خطأ، فما من مسلم يقول: "**ديننا التوحيدى المسلم**" وإنما نقول "**الإسلام**" لأن الإسلام لفظ مطلق شامل، قائم على التوحيد المطلق. ولم يرج البابا بهذه العبارة فى رده إلا ليبرر :"**شعوره المسبق مما سيكون عليه ذلك الحوار بين المسيحية والإسلام**". فى الوقت الذى يقول فيه -قبل هذه العبارة ببضعة أسطر إن ذلك الحدث وقع له "أيام شبابه"، أى عندما كان فى العشرينات من عمره، ولم تكن فكرة المجمع فى الآفاق بعد، بل لم يكن نيافته قد دخل السلك الكنسى بعد ! ففى أيام المجمع كان فى منتصف الأربعينات، لأنه حالياً فى الخامسة والسبعين من عمره

ومن الواضح أنه لم يكتب هذه العبارة إلا لمحاولة الزج بتأكيده على فكرة تعصب المسلمين وتعنتهم، وإن كان فى واقع الأمر، قد قام بعملية إسقاط لتعصبه الصلد ضد الإسلام والمسلمين

الفقرة الثالثة :

تتضمن هذه الفقرة النقاط الأساسية التالية :

١-"**سياق الاختزال**" للوحى الإلهى المسيحى فى القرآن .

٢- صدمة القارئ لمدى "**عدم فهم القرآن، لما قالـه ا لله عـن نفسـه**". وه الذى قاله ا لله عن نفسه ينقسم إلى شقين :

أ - ماقاله فى العهد القديم عن طريق الأنبياء .

ب- وما قاله "**بصورة نهائية عن طريق ابنه**" .

٣- إن الإسلام قد ترك جانبًا هذا الثراء الخاص بالكشف الذاتـى لله، والـ يمثل تراث الإنجيل بعهديه .

وهـى نقـاط تعنـى: أولاً: التشـكيك فـى مصداقيـة القـرآن، لعـدم تضم "الحقائق"، التى نسجتها الأيادى العابثة على مـر الزمـان، وصدمـة القـارئ لما عدم فهم القرآن للرسالة التى أتت أولاً: عن طريق الأنبياء فى العهد القديـم، بصورة نهائية عن طريـق ابنـه، أى ليسـت بعـده أية رسـالات أخـرى؛ إذ إ تتوقف عند السيد المسيح .

ولا يتسع المجال هنا لنعرض على نيافة البابا، كل ما يثبت مصداقية القرآن آ بآية، فما من حرف فيه إلا وهو عين الصدق المنزل. ولـن نستشـهد سـوى بآ واحـدة، يقـول فيهـا ا لله سبحانه وتعـالى: ﴿**إنـا نحن نزلنـا الذكـر وإنـا ا لحافظون**﴾[الحجر :٩] .

ولسنا بحاجة إلى إضافة: لولا يقين الكنيسة بمصداقية القرآن الكريـم، وصـ تنزيله على النبى الأمى -عليـه صلـوات ا لله- لمـا ظلـت تسـتميت فـى محاولا الدءوب لاقتلاعه على مدى أربعة عشر قرنًا، بكل ما لديها من ترسانة مؤجج

وحقنا لكل هذا الجهد المنبت، ولكل ما يتضمنه من شر، ندعـو البابـا هنـا تأمل الآية ﴿.....**وإنا له لحـافظون**﴾ ... و "لحـافظون" هـذه تعنـى صيغـة فـ

مستقبل مطلق. وذلك هو ما تؤمن به أمة الإسلام؛ لذلك هى لا تقوم بالرد على هجوم التعصب بمثل ما يفعل، وإنما تدافع عن كيانها بما بقى لديها من إمكانيات، وهى: الإيمان با لله سبحانه وتعالى وبكل حرف قاله .

ولا نود أن نضيف: ضرورة اطلاع البابا ما بخزائن وأقبية ودهاليز الأرشيف السرى للفاتيكان الذى يرأسه، وليطالع مايحتوى عليه من نصوص، تثبت الأباطيل التى يتزعمها ويقود الترويج لها، وهى نفس الدهاليز ونفس الأرشيف، الذى اكتشف فيه المجمع الشهير خطأ موقفهم بالنسبة لليهود، فسارعوا بتبرئتهم من دم المسيح، كما ظلوا يرددون على مدى ألفى عام. وتكفى الإشارة إلى الحرص الشحيح، الذى تمت به صيغة بيان المجمَع الخاص "بالدين الإسلامى" والذى أوضحنا شذرات منه منذ قليل. وهو مايكشف من ناحية: يقين معرفة الكنيسة بحقيقة الإسلام والقرآن، ويكشف من ناحية أخرى: دأبها الرخيص على طمس معالمه.

إن المرء ليصدم بالفعل، وياهول الصدمة!! لا من عدم مصداقية القرآن، وإنما من كل ذلك الإصرار اللحوح على طمس معالم الحق ونوره، وفرض التلاعب والتحريف. وهو ما يمثل المأساة الحقيقية للكنيسة. تلك المأساة القائمة على فرض وغرس التحريف قهرًا، وقمعًا، وقتلاً. فكل التاريخ الدامى لكنيسة التعصب، على مدى ألفى عام يشهد بذلك. وليس المجال هنا للإشارة إلى ما قامت به من مجازر لسحق كل من عارض- أو عارضوا تأليه السيد المسيح، أو مساواته هو والروح القدس بالإله عز وجل -الأمر الذى يدفع الأتباع إلى التباعد صمتًا- آثرين التسلل بعيدًا، بدلا من الوقوع تحت براثنها؛ وهو ما تطلق عليه مراجع الغرب: النزيف الصامت للكنيسة .

أما استخدام البابا لعبارة "بصورة نهائية عن طريق ابنه" فهى تتضمن من ناحية: الإصرار على كل ما فرضه التيار المتعصب فى الكنيسة، من تحريف على حياة عيسى ابن مريم وتعاليمه، منذ أيام بولس؛ ومن ناحية أخرى: غلق باب

النبوة على سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام-، وجعل السيد المسيح خاتم الأنبياء، و " **الوسيط الوحيد بين ا لله والبشر**" والذى "**لا خلاص لأحد إلا من خلاله**" !

نعم. إن القرآن يخلو من كل ذلك التراث القائم على التلاعب بالنصوص فى الإنجيل بعهديه، وأمرنا باحترام التنزيل السابق، والإيمان بكل من أرسلهم من رسل وأنبياء.

وليس المطلوب من أحد أن يغير دينه و إنما المطلوب هو أن نعبد ا لله، ونخلص له الدين وألا نشرك به أحدًا .

قال تعالى :﴿**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل ا لله فيه....**﴾[المائدة :٤٧] وليس بما تم فيه من تحريف وإضافات وتعديلات، ما زالت تتم. الأمر الذى لم يعد من الممكن إخفاؤه بعد كل ما كتبه الأمناء من رجال الكنيسة، على الأقل لكى لا نذكر سوى الأب "لوازى"، و الأب "رودلف بولتمان"، أو الأب "درويرمان".

الفقرة الرابعة :

يتناول البابا هنا، وبأسلوب يفتقر إلى أبجدية الآداب العامة، وبإصرار غريب، فيشير إلى الفرق بين الله القرآني، وكأنه قاصر على القرآن فحسب، أو أنه من ابتداعه، والذى يظل بعيدا عنا، فهو مجرد لفظ، لا قيمة ولا مضمون له، رغم كل ما يطلق عليه من أسماء حسنى!! وليغفر ولا عجب فإنه لا لوم على فاقد البصر والبصيرة .

وقد يكون البابا عذره فى عدم فهم القرآن باللغات الأجنبية، التى ترجمت معانيه بتحريف قائم على توجيهات الكنيسة، غير أنه نظرًا، للمكانة التى يتبوأها نيافته، والألقاب التسعة التى يحمل أمانة رئاستها وقيادتها، ومسئولياته حيال الملايين، التى يقودها إلى التعتيم والضلال، تحتم عليه - ولو من باب العلم بالشىء - أن يلجأ إلى أحد أساقفته، الذين يجيدون العربية، ليقرأ له القرآن فى لغته العربية المنزلة ! .

إن الإسلام دين شديد الوضوح والبساطة، لا حاجة به للقمع والقهر لفرض تعاليمه على الأذهان. إنه دين قائم على الإيمان با لله وحده، خالق الكون، سيده ومدبر شئون ملكوته، والإنسان مجرد مخلوق فى هذا الكون، الذى تم تسخير ما فى سمواته وأرضه من أجله؛ أى إن سيادة الكون لله وحده لا شريك له، والإنسان مجرد سيد فى هذا الكون، وليس سيدًا له؛ وكافة آيات التوحيد تشير إلى التوحيد المطلق ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله...**﴾[محمد: ١٩].

وبذلك، فالإسلام قطعًا ليس دين فداء؛ لأنه لا يقر بدعة الفداء هذه، وبالتالى فهو لايعطى أية مساحة للصلب ولا للبعث -بالمفهوم المسيحى-؛ لأنها أسطورة منسوجة من أجل التحكم فى الأتباع؛ ولذلك أيضًا يقوم الإسلام على الحاكمية المطلقة لله سبحانه وتعالى، ويلغى طبقة رجال الكهنوت، ولا يقر وجودها، وهو ما حاولت الثورة الفرنسية أن تقوم به فى أواخر القرن الثامن عشر، الأمر الذى ما زالت الكنيسة تحاول اقتلاع آثاره من ضمن ما تحاوله من أعمال .

فالقول بأن الله -عز وجل- مجرد لفظة جلالة لاتعنى شيئا، والقطع بأنه ليس معنًى، وإنما هو غريب بعيد عنا، لدليل -فى نظرنا- على قمة الكفر بمطلق وجود الله، وبمطلق سيادته للكون، ولن نكف عن تكرار أنه ليس المطلوب من أحد أن يغير دينه، وإنما المطلوب هو العودة بالمسيحية إلى أصولها المنزلة لتستقيم الأمور .

وهنا لابد من الإشارة إلى ألوهية المسيح، التى أقحمها يوحنا فى إنجيله، أو تم إقحامها فيه، غير واردة فى الأناجيل المعتمدة الأخرى، ولا نعتقد أن هذا الموضوع الذى تقوم عليه المسيحية الحالية، من البساطة حتى لا تشير إليه الأناجيل الأخرى .

وليس المجال هنا لعرض بقية الاختلافات، ومنها ما يتعلق باللحظات الأخيرة ليسوع: فكل إنجيل يتناولها بطريقة تخالف الأخرى، إن لم تكن تناقضها، وفترة بقائه على الصليب - كما يقال- أو فترة ما بعد الوفاة؛ وخاصة ذلك المشهد المسرحى الذى ينفرد به إنجيل متّى، وهو مشهد لا يمكن لمخلوق أن يغفله لهوله. فالأرض التى تنشق، والقبور التى تتفتح، والأجساد التى تخرج، وتتجول بأكفانها فى المدينة (متى ٢٧ :٥١، ٥٣) ليست بالمشهد الذى يمكن لأحد أن يسقطه من إنجيله!

بل حتى الصرخة التى يقال: إن يسوع أطلقها اختلفوا فى نصها، واختلف المؤرخون فى تفسيرها، وكذلك مكان ضربة الحربة فى صدره، ومده بقاءه مدفونًا، بل حتى النص، الذى تم وضعه على لسانه، والذى يحدد هذه المدة بثلاثة أيام (متى ١٢ :٤٠) فى حين أنه لم يبق سوى ليلة واحدة بحساب الأحداث والأيام، وحتى الكفن اختلفوا فيه: فمن قائل: ملاءة، ومن قائل شرائط أو لفائف.....إلخ. ولم نشر إلى هذه الشذرات إلا لتوضيح أنها برمتها مجرد إضافات وتعديلات، تمت وفقًا لمقتضيات الساعة .

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المراجع القديمة والحديثة، التى تشير بالوثائق إلى هذا العبث، ولا نذكر سوى "جيرالد ميساديه" الذى أوضح فى كتابه بالأدلة والبراهين أن: السيد المسيح لم يمت مصلوبًا و لم يتم تكفينه. كما يؤكد الباحث: "**إن المنبع الأصلى الذى يشار إليه بحرف** (Q) اختصاراً لكلمة [Quelle] وتعنى المنبع، أى: النص الذى أخذت عنه الأناجيل الأربعة **لايتضمن شيئا عن آلام يسوع**" الرجل الذى أصبح ا لله" (ج٢ صفحة ٢٥٦).... أى إنها أضيفت فيما بعد(١) .

نعم. إن القرآن الكريم لم يذكر يسوع إلا كنبى من الأنبياء، وهو ما قاله السيد المسيح عن نفسه فى أكثر من آية، ومنها: "**للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**" (متى ٤: ١). "....**أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من ا لله**" (يوحنا ٨ :٤٠) . ".....**والكلام تسمعوه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى**" (يوحنا ١٤ :٢٤). وذلك بخلاف الآيات الصادرة عن الحواريين، وتدل على أنه نبى من الأنبياء، وليس بإله ! .

ولا دليل على تورط البابا وفقدانه الموضوعية وانخراطه فى غياهب التعصب، من الإصرار على استخدام لفظة "**ما أومية**" للدلالة على سيدنا محمد ﷺ وهو ما دأب الغرب المسيحى على استخدامه لكى لا يستقر اسمه الكريم -صلى ا لله عليه وسلم- فى الأذهان. فمن قائل ما فومية، وبافوية، وما تومومس، وماكوميتس، وماكومتو، لينتهى بهم الأمر إلى لفظه "**ما أوميه**" التى نسجها التعصب الفرنسى، ويستخدمها البابا فى أكثر من موضوع فى كتابه الأخير موضوع هذا البحث، وكأنه يواصل "مباركة" ما يقومون به من تحريف بدلاً من تصويبه. ومن الداعى إلى السخرية أن نراهم يجيدون كتابة اسم محمد، كما ينطق تمامًا إذا ما كان يتعلق بشخص آخر سوى خاتم المرسلين .

---

(١) وقد تناولنا هذه النقطة بشىء من الاسهاب فى كتاب "محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام".

أما فيما يتعلق بالسيدة مريم، فمن الإجحاف المضلل أن نقرأ فى إجابة البابا: **"ومريم أيضًا، الأم العذراء قد ورد ذكرها"** ! ويكفى المسلمين فخراً، أن القرآن كان أول من كرم السيدة مريم العذراء، بأن نفى عنها فريات اليهود، التى ما زالوا يقرونها، و لم يتوبوا عنها؛ نعم يكفينا فخراً أن الله سبحانه وتعالى قال عنها: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم :١٢]، كما قال تعالى عنها :﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران :٤٢]. أى إن الله -سبحانه وتعالى- قد دافع عنها من اتهامات اليهود لها بالزنا والحمل سفاحًا، وأشار إلى إيمانها وتصديقها لقول الله وكتبه، وإلى إيمانها وتعبدها؛ كما أوضح الله عز وجل أنه قد اصطفاها أى: اختارها من الصفوة مرتين: اختارها لشرفها وعباداتها، واختارها لجلالها بأن جعلها خير وأفضل نساء العالمين. ذلك هو القرآن وما قاله، والذى قام نيافة البابا بطمسه فى عبارة "ذكرها أيضاً" !!

ويكفى المسلمين فخراً، مرة أخرى، بأن القرآن الكريم قد كرم السيدة مريم، أشرف نساء العالمين، قبل الكنيسة نفسها، والتى لم تهتم بتكريمها إلا لأغراضها السياسية، أو لدرء نتوءات يفرضها التحريف والتلاعب؛ فالمسيح -إلها- لا يليق أن تظل أمه مرتبطة بالخطيئة الأولى؛ فيتم تأليهها واختلاق حمل أمها بها حملا إلهيا.

وهنا لايسعنا إلا أن نسأل البابا **"ممثل يسوع المسيح على الأرض، والمتحدث باسمه"** أليس من الواجب أيضا استبعاد مولد نيافته عن وصمة الخطيئة الأولى، وإشراكه رسميًا فى قاموس الألوهية ؟! حتى وإن كان ذلك سيتطلب إخفاء نفس السمات على الكرادلة المعاونين له، والذين أضفى عليهم مشاركته فى السلطة الإلهية المسندة إليه ! .

و لم نكتب ذلك مزاحًا، وإنما لتوضيح أن كل تحريف يتطلب سلسلة أخرى من التحريف... وهكذا .... إلى مالا نهاية .

أما إشارة البابا إلى أن "**علم اللاهوت**" فى الإسلام يختلف تماما عن اللاهوت المسيحى. فلا نود تكرار القول: أنه حتى فى هذا المجال قد خانته المعلومات العامة ! .. فلا يوجد علم لاهوت فى الإسلام، لأن الإسلام لا يقر وجود طبقة الكهنة، المبتدعة للاهوت، والمتحكمة فى الأتباع من خلال غياهبه؛ وإنما يوجد علم "أصول الدين" الذى يطلق عليه أيضًا علم الكلام، أو العقيدة، أو التوحيد، أو الفقه الأكبر .... وهو ليس بلاهوت على الإطلاق، أى: إنه ليس حكرًا على طبقة بعينها فحسب، وإنما يمكن لكل مسلم أن يقدم على دراسة هذا العلم، والتعمق فيه إلى ماشاء الله .

ونفس الشيء بالنسبة لمايطلق عليه البابا "علم الإناسة" الذى يختلف تمامًا فى القرآن عن "علم الإناسة" فى اللاهوت المسيحى .إن عظمة القرآن تكمن فى أنه يتناول سير الأشخاص الذين يتحدث عنهم، سواء أكانوا من الأنبياء والرسل، أم من الملوك والعامة، يتناولهم من الجانب المطلق المجرد الرامز إلى مايميزهم - بالنسبة لحدث ما- والذى لا يمكن اختصاره إلى أقل من ذلك وإلا فقد معناه، بينما فالعلم فى الأناجيل قائم أو مرتبط بالتعديل، والتبديل، ومقتضيات الظروف السياسية أو الصراعية ومتطلباتها. وهو ما لايعرفه القرآن، و لله الحمد.

الفقرة الخامسة :

وهنا أيضًا، يؤسفنا أن نبدأ بالإشارة إلى المستوى الضحل لمعلومات البابا العامة، وإلى الاستهتار الساخر الذى يتحدث به عن المسلمين، وعن إخلاصهم للصلاة: إن عبارتى "دون أى اكتراث لا بالزمان ولا بالمكان"، إن من يطلق على الإله "ا لله" يسقط على ركبتيه، ويستغرق فى الصلاة عدة مرات فى اليوم" لتكشف الكثير - لا جهلاً بأبسط مبادئ الإسلام فحسب، وإنما بأبسط مبادئ الذوق فى التحدث عن الآخرين !

إن عدد الصلوات الخمس وتوقيتها من أبجدية المعلومات العامة عن الإسلام ، فأن يجهل البابا أنها تؤدى فى زمان محدد ووفقا لعدد محدد، فذلك جهل لا يضير إلا صاحبه. والمسلم لا "يسقط" على ركبتيه، وإنما يركع، ويسجد له وحده، مثلما كانت الصلاة قديما ركوعًا وسجودًا لله وحده الذى لا شريك له، وذلك حتى أيام السيد المسيح عليه السلام.

فقد كان أيضا يصلى ساجدا لله وحده، وهو ما نطالعه فى العهد الجديد، إلى أن قامت الكنيسة "بتعديل" ذلك أيضاً .

أما أن يشعر البابا بالحسرة على **"هؤلاء المسيحيين الذين يهجرون كاتدرائياتهم الرائعة، وقليلاً جدًا ما يصلون أو قد لايصلون بتاتاً"** .....فلا يسعنا إلا أن نؤكد لنيافته أن ذلك هو حصاد ما زرعه التعصب، والتحريف الكنسى على مر العصور. فالإيمان لايتواجد فى القلب بناء على روعة الكاتدرائيات، وبذخ ماتحتوى عليه من نفائس ومجوهرات، ولا بما يفرض قهرًا بعيدًا عن المنطق دون مناقشة، وإنما يوجد الإيمان فى قلب الإنسان اقتناعًا بما يُعرض عليه... والإسلام يتميز بالبساطة والوضوح، وذلك هو سر بقائه وانتشاره .... فأبسط ما يمكن أن يعرف به الإسلام ، حديث الرسول -عليه صلوات ا لله- : **"قل : لا إله إلا ا لله ثم استقم"** أى: التوحيد المطلق با لله، والاستقامة فى كل شيء .

أما المسيحية الحالية فهى قائمة على التبديل والتغيير ورتق كل ما ينجم من تهتكات، لايقبلها العقل، مما أدى إلى عقيدة متناقضة المنطق والتركيب؛ وإلا لما اضطرت الكنيسة الهولندية إلى إصدار كتاب تعليم دينى جديد، عام (١٩٩٦م)، يخلو من ذكر تركيبة التثليث، وما إلى ذلك؛ لعدم استطاعة رجال الكهنوت هناك مواجهة الأتباع، أو الرد على أسئلتهم المحرجة .

الفقرة السادسة :

لقد تمخض المجمع الفاتيكانى الثانى عن عدة قرارات، لا سابق لها فى التاريخ. ولا يسع المجال هنا لتناولها بالتفصيل، وإنما سنعرض للنقاط الرئيسية التى تمس هذه الفقرة من رد البابا على السؤال الخاص بالإسلام، ويكفى أن نشير بداية إلى الصفة التى أصبح يشار بها إلى ذلك المجمع على الصعيد العالمى، وهى : أنه أول مجمع هجومى فى التاريخ على كافة المستويات؛ ذلك أن من أهم قراراته :

العمل على إسقاط الشيوعية وإحياء الكنيسة الأورثوذكسية بدلاً عنها.

اختلاق العام المريمى وظهورها عدة مرّات لتهيئة الجو .

تبرأة اليهود من دم المسيح كما يقولون، واعتبار المسيحيين هم شعب الله، حاليا!

توصيل الإنجيل لكافة البشر، أى العمل على تنصير العالم .

إقرار الحوار مع الديانات غير المسيحية وبخاصة الإسلام .

التأكيد على معصومية البابا من الخطأ وإضفاء سلطاته الكهنوتية على مجموعة من الكرادلة الذين يلوه كمعاونين له . ولا نفهم كيف يكون البابا هو "المنتخب إلهياً" لتمثيل المسيح، والتحدث باسمه، ثم يقوم بتوزيع هذه السلطات الكهنوتية الإلهية على طاقم من المساعدين ؟!!

كما قام المجمع بإقرار : أن عملية الفداء قد تمت من أجل خلاص كافة البشر لتبرير عملية تنصير العالم ؛ وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول هذا التناقض؛ لكى لانستخدم عبارة أخرى ؛ فكيف يخططون لتنصير العالم، ويقومون باتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك، ومنه فرض استخدام الكنائس المحلية فى عملية التنصير هذه، ومضاعفة إرساليات التبشير، وإنشاء **"السينودس"** ويعنى: **"المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية"** والذى تتلخص مهمته فى إعلام وإرشاد مقر العمليات العالمى، الخاضع لرئاسة البابا، إلى جانب عقد المجامع الأسقفية الخاصة بالتبشير والإرساليات فى مختلف أنحاء العالم. كيف يتم ترتيب وممارسة كل ذلك ثم

يتحدثون عن"احترام" الديانات الأخرى وإجراء "الحوار" معها ! ... غير أننا لو عرفنا معنى "الحوار" فى المجال الكنسى البابوى لبطل العجب .

فالحوار يعنى، كما ورد فى الخطاب الرسولى للبابا المعنون بـ: **"رسالة الفادى"**، التى يؤكد طوالها، كيف أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل كافة البشر : **"إن الحوار يمثل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية"**، ويرى نيافته أن الإسلام : **"من الديانات التى تحتوى على شوائب وأخطاء"** ، مؤكدًا **"أن الخلاص يأتى من المسيح، وأن الحوار لايعفى من التبشير بالإنجيل"**. كما ينص هذا الخطاب على تضافر الغرس الثقافى، والتبشير ومواكبتهما من خلال الحوار .

فالحوار، فى المفهوم الكنسى، مجرد ذريعة لكسب الوقت بغية التسلل، وإتمام عملية الغرس التبشيرى، والثقافى بلا مقاومة تذكر ؛ أو كما يقول البابا فى ذلك الخطاب نفسه:

"إن الكنيسة تستعمل الحوار، لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم، وحياتهم تجديدًا عميقًا، فى ضوء سر الفداء والخلاص، إن الحوار الصحيح يرمى -إذن بادئ ذى بدء- إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطنى، والتوبة مع احترام كل الضمائر" .

ولا يفوت البابا أن يوضح كيف **"أن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بمحاورتهم، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة"** .

ويختتم البابا هذا العرض لمفهوم الحوار عنده بتوضيح أنه **"لايمكن أن ينطلق أبداً من موقف لا مبالاة تجاه الحقيقة، لكنه بالأحرى يقوم بعرض هذه الحقيقة بهدوء، ونفس طيبة تحترم أفهام الآخرين وضمائرهم ... وحقيقة الإنجيل -هذه- ترمى إلى الارتداد الخاطئ، والاتحاد بالسيد المسيح !**

وبما أن الإسلام يمثل "**خطأ مطلقًا لابد من رفضه؛ لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته**" (فاتيكان اثنين صفحة ٢٠٢) . فذلك يعنى أن كل المسلمين خُطّاء، عليهم الارتداد عن خطأهم المطلق، والاتحاد بالسيد المسيح ! .

ولا تعليق لنا على هذا الوضوح، الذى يلقى بأضواء لها معناها على مايدور حالياً، من مؤتمرات، ولقاءات فى تلاحق محموم، على كافة الأصعدة وفى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية .

الفقرة السابعة :

يوضح ما تقدم معنى الحوار في مفهوم البابا، ولا نجد هذا الشرح فى "رسالة الفادى"، فحسب تلك الرسالة التى يؤكد فيها "**التزام الكنيسة بالحوار يظل صلباً، ولا رجعة فيه**" (البند٥٤)، وإنما نجد تنويعات مختلفة، وبدرجات تتفاوت، من مجرد التفسير العابر إلى تكريس رسالة بأسرها عن الحوار، كتلك التى تسمى "الحوار والتبشير" (١٩٩١م) . فما يدور حالياً عملية غرس استيطانى تطبيعى دينى، غرس قائم على إيقاع متتابع، تحت مسمى السلام، بغية كسر الحواجز النفسية، التى تقف حائلاً فى أى عملية تطبيع .

والغرس التبشيرى من العبارات الجديدة التى تم إدخالها فى المجال الكنسى حديثاً، وتعنى: "**غرس البشارة فى الأرض الثقافية لمنطقة ما**" .

يوضح البابا يوحنا بولس الثانى معنى ذلك الغرس الثقافى فى خطابه المعنون : "**الرسل السلافيون**" قائلا : "**إن الغرس الثقافى يعنى : تجسيد الإنجيل فى الثقافات المحلية، وفى نفس الوقت إدخال هذه الثقافات فى حياة الكنيسة**" . **أما فى خطابه المعنون "الحوار والتبشير" فيقول هذا الغرس إنه يعنى : "تجسيد التبشير فى الثقافة، والتراث الروحى للذين تتوجه إليهم الكنيسة، حتى لا تكون الرسالة المبلغة إليهم مفهومة فحسب، وإنما بحيث تبدو، وكأنها إجابة على تطلعاتهم الدفينة، أى أنها حقاً النبأ السعيد الذى ينتظرونه"** .

وهو مايقصده نيافته عند توضيح، كيف أن لقاءات الصلاة الجماعية، التى يدعو إليها ممثلين من كافة الديانات التوحيدية ، وغير التوحيدية ؛ تتم "**من منطلق هذا المنظور**" أى: من منظور الحوار للإقناع "**بحقيقة الإنجيل التى ترمى إلى ارتداد الخاطئ والاتحاد بالسيد المسيح**".

وفيما يلى مثال لهذا التلاعب بالألفاظ والمعانى المتلفعة بعبارات السلام : ففى لقاء بلدة "أسيز" المنعقد فى (٢٧/١٠/١٩٨٦م) قال نيافته :"**إن حقيقة حضورنا**

إلى هنا لا يتضمن أية نية ترمى إلى البحث عن إجماع دينى بيننا، أو أن يؤدى إلى مفاوضات، حول معتقداتنا، كما لايعنى أيضاً: أن الديانات يمكنها أن تتصالح على مستوى ارتباط مشترك في مشروع أرضى، يتعداها كلها ولا يعنى أيضاً: تنازلاً للنسبية فى مجال المعتقدات الدينية، لأن كل إنسان، يجب عليه أن يتبع بأمانة ضميره المستقيم، بهدف البحث عن الحقيقة والانصياع إليها" رسالة الكنيسة" مجلة فصلية (١٩٩٢، العدد٩٦ ،٩٧ صفحة٢٧) .

وفى نفس الصفحة، من نفس المجلة، وبعد عدة أسطر نطالع ما يلى :

قام البابا يوحنا بولس الثانى بالتعليق على لقاء "أسيز" فى خطابه يوم (١٩٨٦/١٢/٢٢م) الموجه إلى كرادلة، وأعضاء الإدارة البابوية ...... وهذا الخطاب جدير بالدراسة والتأمل؛ لأنه يتناول تأملاً لاهوتياً كبير الأهمية، يبرز نقاطًا جديدة، ومنها قوله :

- **"بعد عشرين عاماً من مجمع الفاتيكان الثانى، تأكد الحوار وتم تشجيعه".**

- "إن الانفتاح وصل إلى درجة اقتراح تعاون حقيقى" .

- لقد انتقلنا من لاهوت للديانات غير المسيحية إلى لاهوت لديانات العالم، أى: إن الديانات الأخرى لم يعد تقييمها قائم بناء على علاقتها بالكنيسة الكاثوليكية، وإنما بناء على علاقتها بالخلاص العالمى، الذى اقترحه الله عن طريق المسيح من خلال الروح القدس .

- ونتيجة طبيعية لذلك، فإننا نؤكد على "تمركز" كل المستقبل الإنسانى **حول** موضوع وحدة الخليقة والفداء (راجع: "فى زماننا هذا" الفقرة الأولى) .

وتختتم المجلة ذلك الجزء بآخر فقرة قالها البابا، فى اجتماعه مع الكرادلة و أعضاء الإدارة البابوية، عن لقاء "أسيز" هذا، والذى نطالع فيه :

"إن الهدف الإلهى الوحيد والنهائى، يتمركز فى يسوع المسيح، الإله والإنسان الذى يتعين على كافة البشر أن يجدوا فيه اكتمال الحياة الدينية،

والذى تصالح فيه كل شيء وبنفس الطريقة فلا يوجد مخلوق لا رجل ولا امرأة، لايحمل فى ذاته علامة أصله الإلهى، ولا يوجد مخلوق يمكنه أن يظل خارجاً، أو حتى على هامش عمل يسوع المسيح، الذى مات من أجل الجميع، إذن فهو منقذ العالم"

ونفس الأسلوب المزدوج نراه فى أسفاره الرسولية المتعددة حتى حينما يكون **"أغلب السكان من المسلمين"** - على حد قوله- فذلك لا **"يمنع من أن يكون استقبال البابا حاراً ولا من أن يتم الإنصات إليه باهتمام"** ومجرد استخدامه لفظة "البابا" بدلاً من أن يقول : "استقبالى"، وهو الأسلوب الذى يستخدمه طوال الكتاب الذى نحن بصدده، إلا أنه يرمى إلى تأكيد صفته الكنسية وتوضيح أن المسلمين متعطشون إلى أقواله الكهنوتية

ونود أن نلفت نظر البابا إلى معلومة بسيطة عن الإسلام، وهى أن الإسلام يحتم على صاحب المكان إكرام الضيف ثلاثة أيام، وأن هذا الكرم له آدابه من حسن ضيافة وإنصات ورعاية، ولا علاقة له بضمير الضيف المستتر، ولا بأغراضه الخبيثة ! .

الفقرة الثامنة :

يستشهد البابا فى هذه الفقرة برحلته إلى المغرب عام (١٩٨٥م)، التى كانت "حدثا على المستوى الرعوى حقيقة" أى على المستوى الكنسى التبشيرى .

ويستشهد البابا بمدى "انفتاح الشباب لخطاب البابا حول الإيمان بالإله الوحيد"، وتفضح هذه العبارة تلاعب نيافته بالألفاظ، وبعقول الحاضرين من الشباب، والذين قد يجهل أغلبهم ما وراء محدثهم من خلفيات ممتدة على مدى ألفى عام . والبابا يعلم تمام أن الإسلام دين يقوم على التوحيد، ولا يعبد إلا ا لله وحده لا شريك له ؛ فأن يتوجه إلى هعذا الشباب المسلم بحديث عن " الإله وحده لاشريك له ؛ فأن يتوجه إلى هذا الشباب المسلم بحديث عن "الإله الوحيد " فذلك لا يعنى فى نظر هؤلاء الشباب سوى ا لله سبحانه وتعالى الذى لا شريك له .

وإذا ماتصفحنا بعضًا مما ورد بهذا الخطاب، الذى ألقاه يوم (١٩/٨/١٩٨٥م)، لأدركنا فحواه غير الصادق وغير الأمين، إذ يقول نيافته :

إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين أصبح ضرورة اليوم، أكثر من أى وقت مضى . إن الكنيسة تنظر باحترام إلى مسيرتكم الدينية، وتعترف بنوعيتها، وبثراء تراثكم الروحى نحن أيضاً –معشر المسيحيين– فخورين بتراثنا الدينى، واعتقد أننا مسيحيون ومسلمون يجب علينا أن نعترف بسعادة : بالقيم الدينية المشتركة بيننا وأن نشكر ا لله عليها فكلانا يؤمن بـا لله، الإله الوحيد، العادل الرحيم، نؤمن بأهمية الصلاة، والصوم، والزكاة، والعقاب والغفران، نؤمن بأن ا لله سيكون حاكما رحيماً بنا فى نهاية الزمان، ونأمل أنه بعد البعث سيكون راضياً عنا، ونحن راضون عنه، إن الأمانة تقتضى، أيضاً، أن نعترف ونحترم خلافاتنا، إنها خلافات هامة، يمكننا تقبلها بتواضع واحترام، وفى تسامح متبادل، إننا مسيحيون ومسلمون عادة ما أسأنا فهم بعضنا بعضاً، وأحيانا فى الماضى قد تعارضنا، بل وأهلكنا بعضنا فى صراعات وحروب

أعتقد أن ا لله يدعونا اليـوم إلى تغيـير عاداتنـا القديمة علينـا أن نحـترم بعضنـا، وأيضاً أن نشجع بعضنا، في أعمال الخير ، على طريق ا لله" .

إن التعليق الوافى على هذا الجزء الصغير من الخطاب الطويل، الذى ألقاه البابا على شباب المغرب قد يحتاج إلى مجلد بأسره، لما فيه من تلاعب بالألفاظ وطمس للحقائق .

ولن نشير هنا سوى إلى بعض العبارات، ومنها ذلك "الاحترام" الذى تنظر بـه الكنيسة إلى الإسلام، لكنها لا تعرف أن عليها الاعتراف بــه قبـل أن تنطـق بـأى عبارة أخرى .

وذلك يجب أن يكون المطلب الأساسى لأى حوار، بـالمفهوم الأمـين للكلمـة، فمثلما بحثت ونقبت فى أرشيفها السرى -كما نطالع فى البيان الرسمـى بذلـك- واكتشفت خطأها فى حق اليهود، عليها أن تبحث فى نفس الأرشـيف السـرى؛ لتكتشف خطأها فى حق الإسلام والمسلمين، ذلك "الخطـأ" الـذى مـا زال البابـا يتزعمه بكل أسف . وحواره الملتوى عن "الإله الوحيد" أوضح من أى تعليق .

أما خلافاتنا التى علينا أن "نتقبلهـا بتواضـع واحـترام، فـى تسـامح متبـادل" . فذلك أمر مرفوض بالقطع، لأنه يعنى الخروج على الإسلام لأن خلافنا الجـذرى، قائم على نفس تحريف العقيدة وتأليه السيد المسيح وتجسد ا لله فيه إلى آخره. وقبـول هذه التركيبة الثالوثية، بغض الطرف عن أى احترام، ولا أى تواضـع، يعنـى الخـروج عن تعاليم ا لله سبحانه وتعالى الذى نص على ألا نشرك به أحدًا، ولا يسع المجال هنـا للاستشهاد بعشرات الآيات التـى تدين الشـرك بـا لله، ويكفـى أن نذكـر قـول ا لله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ...﴾[المائدة: ٧٣].

﴿.....وَمَنْ يَتَبَدَّلْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة : ١٠٨] .

أما عن إساءة فهم بعضنا بعضاً "أحيانا" فى الماضى، فـلا يمكـن أن نفـى هـذه العبـارة حقهـا مـن الشـرح والتعليـق . فهـذه الكليمـة السـاذجة شـكلاً، تخفـى

وتطمس: مجازر، ودماء سالت طوال أربعة عشر قرناً، على كافة أنحاء العالم حينما امتدت أيادى التعصب ومخالبها .

ومقولة "**إننا قد تعارضنا وأهلكنا بعضنا فى صراعات وحروب**" لا أساس لها من الصحة، لمجرد وضع موقف كل من المسيحية والإسلام فى كفتين متساويتين . وكيف سنقيم المعادلة، إذ كانت الأولى شرسة الهجوم، والثانية ضحلة الدفاع حتى عن نفسها ؟!

وهنا لايسعنا إلا أن نقول : ليستجب نيافة البابا - كما يقول- إلى دعوة الله، ويغير "عاداتهم القديمة" المتواصلة حتى يومنا هذا، وأن يكف تيار التعصب عن قيادة محاولة اقتلاع الإسلام لتنصير العالم، فالعقيدة القائمة على التحريف والتبديل والأكاذيب لا يمكن لها أن تستقيم أو تسود، إلا بالعودة بها إلى أصولها المنزلة . والعودة بها إلى حقيقة الله سبحانه وتعالى، وليس إلى "الحقيقة" اللاهوتية، وعندئذ -فحسب يمكن للمسلمين أن ينظروا بعين التقدير والاحترام إلى قوم دأبوا على تحريف العقيدة التوحيدية، ودأبوا على فرض تحريفها قهراً، ثم تابوا وأفاقوا وآمنوا بما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهم عيسى ابن مريم .

الفقرة التاسعة :

تتناول هذه الفقرة التاسعة والأخيرة من رد البابا -الجانب السياسي- بشكل أوضح، حتى وإن كان من داخل إطار الدين، وهى فقرة يمكن تلخيصها فى عبارة: "صمود الإسلام"، وإن كانت تتضمن أربعة محاور، وهى :

أ- التيارات الأصولية التى تفرض "الدين الحقيقى" على كل المواطنين .

ب - الظروف المأساوية للأقليات المسيحية .

جـ - الأصولية تجعل الحوار صعباً .

د - الكنيسة ثابتة فى استعدادها للحوار والتعاون .

ولن نعتب على البابا الصياغة غير الأمينة، وغير الصادقة بل والاستفزازية، إذ إن كافة إجاباته بالكتاب موضوع هذا البحث تزخر بمثل هذه المآخذ، فمن الواضح أن تلك هى سمة خطابه بصفة عامة، لكننا سنبدأ بالإشارة إلى أصل الأصولية ونشأتها الكنسية حتى تتضح الأمور.

وكلمة الأصولية، مرتبطة ارتباطًا عضويًا بكلمة الحداثة، أو بما يطلق عليه **"معركة الحداثة"**، وتعنى هذه المعركة اختصاراً : المطالبة بدراسة وتنقية النصوص الإنجيلية مما أجرى فيها من تحريف وإضافات ؛ والمطالبة بإنجيل يسوع، الذى أخفته الكنيسة، ومطالبتها بعدم التدخل لإعاقة الحركة العلمية وتطورها .

وكان فريق علماء الحداثة يتكون أساساً من كنسيين، وانضم إليهم بعض المدنيين، أى إنها حركة قامت على أيدى أشخاص عالمين ببواطن الأمور، وليسوا دخلاء عليها .

وواكبت هذه الأحداث الفترة المعروفة باسم "صحوة العقل الفلسفى، والدفاع عن السلطة الأخلاقية للإنسان الحر" كنقيض للإنسان الخاضع للكنيسة وسلطانها، الذى أدى إلى طمس معالم التوجه إلى الله؛ ليصبح التوجه إلى السيد المسيح، أو ما يطلق عليه : الازدواجية القطبية فى المسيحية .

وثار التيار المتعصب بشراسة وصلت إلى الاغتيالات، دفاعاً عن مصالحه التى أرساها غرساً على مدى ألفى عام، وقام برفع درع "الأصولية" أى: التمسك "بالأصول"، وبكل ما تم بها من تحريف، بل واعتبارها منزلة !

وتوالت الخطب الرسولية التى تدين الحداثة وتدافع عن الأصولية، وأهمها الخطاب المعنون "سيلابوس" (١٨٦٤م) ويحتوى على فهرس "بالأخطاء" التى أشار إليها العلماء التى يجب على الكنيسة أن تحاربها.

الخطاب المعنون "أشياء محزنة" (١٩٠٧م) الذى يعد بمثابة تكملة للخطاب السابق وإن كان على بعد أربعين عاماً تقريباً، ومن بابوين مختلفين، لكنها استمرارية لمخطط واحد . بينما كانت تساندها تقارير لجنة محكمة التفتيش وتعليماتها، ومنها : سحب الكوادر الشابة الكنسية من حلقات البحث الدينى فى المعاهد والمدارس الدينية.

منعهم من الاشتراك فى المجلات، التى تروج "لبدعة الحداثة" . ومنع ترسيم كل الذين تشبعوا بهذه الأخطاء الحديثة، ولا يوافقون على إنكارها .

ولم نذكر ما تقدم إلا لنوضح : أن الأصولية فى المجال الكنسى، تعنى الإصرار على التمسك بكل ما تم من تحريف فى النصوص الإنجيلية، وأن "الحداثة" فى نفس المجال الكنسى، تعنى كشف هذا التحريف . أما فى المجال الإسلامى، حيث القرآن الكريم منزل، ولم تمسه ولن تقترب منه الأيادى العابثة مهما حاولت، فإن معنى الحداثة هنا يأخذ مفهوم تحريف معانى القرآن والسنة والتلاعب بنصوصهما – وهو مايستميت الغرب المسيحى حالياً فى عمله– أما الأصولية، فى المجال الإسلامى، فتعنى المحافظة على الأصول سليمة، كما هى، والدفاع عنها ضد أى تحريف .

أما رد البابا فى هذه الفقرة الأخيرة، والبنود الأربعة التى يتضمنها، فإن أول مانشير إليه فى المحور(أ) هو تعميمه غير الأمين فى أن الأصوليين –حينما يصلون إلى الحكم– يقومون بفرض"الدين الحقيقى" على كل المواطنين، والمغالطة هنا لا

تكمن فى انتقاده لعبارة "الدين الحقيقى" التى وضعها بين شولتين سخرية، أو لعدم صدقها فى نظره، ولن نعيرها التفاتاً، إذ أوضحنا ما فيه الكفاية لما يقوده هو شخصياً من زيف وتعصب، وإنما تكمن المغالطة فى قوله عبارة: "على كل المواطنين" والتعميم هنا يعنى به الأخوة المسيحيين، وتلك هى الطامة الكبرى، لا فى مستوى معرفته بالإسلام فحسب، وإنما فى اتخاذه ذلك تبريراً للتدخلات السياسية -الدينية- زعماً للدفاع عنهم، والإسراع بعملية التبشير والتغريب .

وهنا نقول للبابا : إن الإسلام ، لشديد الوضوح، إذ ينص على أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ [البقرة :٢٥٦] . كما يقول بنفس الوضوح : ﴿...فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾[الكهف :٢٩] . أى إنه لا يمكن لمسلم يعلم أصول دينه ويتمسك بها -بل ويتهم من أجل ذلك بأنه من الأصوليين- أن يخالف آيات بمثل هذا الوضوح، خاصة إذا ما اضيف إليها آية أخرى تقول بنفس الوضوح ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[العنكبوت:٤٦].

أما مقولة نيافته عن ظروف هذه الأقليات "المأساوية" فهى مقولة تفتقر إلى نفس الصدق والمصداقية . فما من أقلية مسيحية فى العالم أجمع تتعرض لمأساة سوى مأساة تدخلات معقل الفاتيكان وإصراره على استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير والتنصير والحوار......إلخ.

الأمر الذى يضع هذه الأقليات فى حيرة مأساوية حقيقية حينما تتساءل ضمائرهم عن مصير ولائهم : أيكن للوطن الأم الذى نشأوا فيه ويأويهم، أم يخونونه إذعاناً، للأوامر المتعصبة، ومتطلباتها، رغم كل ما بينهم هم من خلافات ؟

فاستخدام الكنائس المحلية من قرارات المجمع الشهير، ومن قرارات "السينودس" الذى تمخض عنه كما رأينا، ومن قرارات مؤتمر "كولوراد"، وللتنصير الذى انعقد عام (١٩٧٨م) .....الخ.

ومن الطبيعى أن تؤدى الأصولية، بمفهومها الإسلامى السليم -وهو الدفاع عن الإسلام والمحافظة عليه من أى تحريف- إلى جعل الحوار- بمفهومه الكنسى،

التبشيرى - شديد الصعوبة إن لم يكن محالاً . وهـو المطلوب لا مـن الأصوليـين فحسب، وإنما من كل مسلم مؤمن بدينه غيور عليه، وخاصة من كل المسـلمين، الذين يشاركون فى مثل هذه المؤتمرات والمنتديات والصلوات.

ويختتم البابا رده المثقل بالمغالطات والاتهامات بعبارة تتلفع بالبراءة والتسـامح، موضحاً أنه رغم كل هذه "المصاعب" التى ذكرها طوال أربعة صفحات عن الإسلام والمسلمين، فإن الكنيسة ثابتة فى استعدادها للحوار وللتعاون . ولا نملك إلا أن نقول لنيافته : إن هذا الحوار وهذا التعاون الذى يعنى أحدهما : **"إلـزام الخاطئ الارتداد والدخول فى خلاص يسوع المسـيح"** . بينما يعنى الآخر : **"مساعدة الخاطئ على اجتياز عملية الارتداد مع احترام"** أنهامه **"والعمل على تجديد ضميره بالارتداد"**، فهو أمر مرفوض بكافة المقاييس والأشكال والوسائل.

إنه أمر مرفوض حتى باسقاط ديون العالم الثالث التى يلوح بها نيافته ثمناً للتنصير أو إغـراءً بـه، فـى خطابـه الرسـولى الأخـير الصـادر فـى: (١٤/١١/١٩٩٤م)، بعنوان **"عشية الألفية الثالثة"**[١] . وهو الخطاب الـذى يعد بمثابة خطة خمسية للسنوات الباقية من هذا القـرن، ليكـون الاحتفـال عبـارة عـن تمجيد للثالوث، ينتهى بمؤتمر عالمى للقربـان، وسبقه عملية إسقاط ديـون العـالم الثالث، ودعوة للحج والصلاة الجماعية :**فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانـات التوحيدية"**، وقد يكون نيافته يشير إلى "غزو" مكة وتبشيرها .. !

وفى نهاية هذا العرض الموجز لرد البابا على السؤال القائل **"ما الفرق بين ا لله عند المسلمين وإله المسيحيين؟"**، الوارد فى كتابه المعنون **"ادخلوا فـى الرجـاء"**؛ وبعد ما تبعه من تعقيب أوردنـاه مختصـراً بقـدر الإمكـان، لا نملـك إلا أن نقـول للبابا **"المعصوم من الخطأ"** رسمياً بقـرار مـن المجمـع الشـهير، أن يراجـع مـا ورد بإجابته من فريات، وأخطاء ضد الإسـلام والمسـلمين، إن لم يكـن تنقيـة للضمـير الذى سيلقى به ا لله، ولا من باب المعلومات العامة، ولا من باب احترام مسئولية الألقاب والمناصب التسعة التى يرأسها، فعلى الأقل استجابة لله الذى يقول: **"إنه**

---

(١) سنتناول هذا الخطاب فى البحث التالى "الخطة الخمسية" .

يدعونا إلى تغيير عاداتنـا القديمة" . وبمـا أن المسـلمين كـانوا دومـاً فـى موقـف الدفاع عن النفس، مع الإصرار على التمسك بدين الحق المنزل وغير المحرف، أى إنه لاعـادات هجوميـة لهـم، فلمـاذا لا يبدأ نيافتـه ويضـرب المثـل الأعلـى علـى الاستقامة والطاعة لله سبحانه وتعالى، ويتخلى عن كل ما يقوده، وما يحكيه مـن كمـائن ومخططـات، ومؤامـرات، ومؤتمـرات، ولقـاءات **"وصلـوات مغرضة"**......الخ

لفرض كل مانسجته الأيادى العابثة عبر المجـامع على مـر العصـور . مـاذا لـو تخلى نيافته عن كـل هـذه **"العادات القديمة"** قـدم أربعـة عشـر قرنـاً، واعـترف بأخطائها، ليقود خرافه الضالة إلى إنجيل يسوع الحقيقى، وإلى رسـالته التوحيديـة التى بشر بها فعلاً وتاهت معالمها تحت أنقاض التحريف **﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ.....﴾**[المائدة : ٤٧] .

عندئذ ؛ وعندئذ فحسب ؛ يمكننا أن ندخل فى حوار إنسـانى صـادق وبنـاء، من أجل سعادة وسلام الإنسانية بأسرها .

عندئذ فحسب ؛ يمكننا أن ندخـل فـى حـوار بمعنـاه الصـادق الأمـين . فلقـد خلقنا الله -سبحانه وتعالى- أممًا مختلفة؛ لنتعارف ونتعاون على إعمار الدنيـا؛ لا لنعبث فيها فساداً واقتتالاً.

الخطة الخمسية

للبابا يوحنا بولس الثانى

تنصير العالم

فى الرابع عشر من شهر نوفمبر (١٩٩٤م) أعلن البابا يوحنا بولس الثانى، فى روما : خطابه الرسولى الجديد . والخطاب يدور حول الإعداد للاحتفالات الخاصة ببداية الألفية الثالثة لمولد المسيح، وهو بعنوان **"مع اقتراب الألفية الثالثة"** وهو صادر عن مطبوعات الفاتيكان . والتى قالت عنه جريدة "لوفيجارو" الفرنسية، الصادرة فى (١٥/١١/١٩٩٤) : **"إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة"! و "البيان"** هنا يأخذ معنى المنشور السياسى .

وموضوع بداية الألفية الثالثة من الموضوعات العزيزة على البابا . إذ إنه قد أثاره لأول مرة فى السابع عشر من شهر أكتوبر عام (١٩٧٨م)، فى كنيسة "سكستين" بالفاتيكان، فى الخطاب الذى القاه بعد تعيينه بسويعات فى منصب البابوية . وقد عاد إليه ثانية فى الرابع من شهر مارس عام (١٩٧٩م)، فى أول صفحة من خطابة الرسولى حول **"المسيح فادى البشر"**.

ونجد نفس الفكرة فى خطاب رسولى آخر حول **"رسالة الكنيسة"**، الذى أصدره فى السابع من شهر ديسمبر عام (١٩٩٠م)، والذى كان بمثابة "النص المرجعى لآلاف الكاثوليك الفرنسيين الذين اجتمعوا فى مدينة "لورد" (من ٤ إلى ٩/١١/١٩٩٤م) فى لقاء بعنوان "تبشير الكوكب" .

ومن هنا ندرك كيف أن موضوع الألفية هذا **"مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم"** على حد قول "جوزيف فاندريس"، مراسل جريدة لوفيجارو فى الفاتيكان (١١/١١/١٩٩٤م) والذى يواصل قائلا : "إن عام ألفين سيصبح إذن: **"عام الخلاص"** وعام استقبال ذلك الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم" .

لذلك كان البابا قد دعى كافة الكرادلة إلى اجتماع عام فى يومى (١٣، ١٤ يونيو ١٩٩٤م) لمناقشة الإعدادات الخاصة بذلك **"العام المقدس"** . واقترح المجمع الكنسى أن يكون الموضوع الرئيسى للاحتفال هو : **"يسوع المسيح، محور العالم وسيد تاريخه"**، وأن تستعد كافة الكنائس المحلية لهذا الحدث طوال فترة الأعوام الخمسة القادمة .

وتكمن أهمية صدور هذا الخطاب الرسولى فى هذا التوقيت من شهر نوفمبر الحالى، وبعد شهر واحد فقط من صدور آخر كتاب للبابا وهو بعنوان "**ادخلوا فى الرجاء**" فى أنه نفسه يرى ضرورة أن يستعد كافة الكاثوليك لعام ألفين، بأن يضعوا أنفسهم فى الجو الطقسى الخاص بهم والمسمى "**مقدمات أعياد الميلاد**" والتى تبدأ قبل الخامس والعشرين من شهر ديسمبر بأربعة أسابيع" .

والخطاب فى مجمله عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية، وغير المسيحية لتشارك فى هذا الاحتفال، إلى جانب كونه "**مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتنصير الكافة، وفقًا لها**"، على حد قول ؛ إيلى مارشال فى نفس جريدة لوفيجارو . وقد استقى الكاتب عبارة "المجاهرة" هذه من نفس الشكل الاحتفالى الذى خطط له البابا فى إطار تمجيدى للثالوث ينتهى "**بجمع عالمى للقربان**" !!

والخطاب يقع فى سبعين صفحة، وهو موجه إلى كافة رجال الإكليروس بمختلف رتبهم، وإلى كافة الأتباع المدنيين بمناسبة الإعداد ليوبيل عام ألفين .

ويتكون هذا الخطاب الرسولى من خمسة أقسام، تتضمن تسعة وخمسين بندًا، عناوينها كالآتى :

١-"يسوع المسيح هو نفسه بالأمس واليوم" .

٢- يوبيل عام ألفين .

٣- الإعداد لليوبيل الكبير .

٤- الإعداد الفورى :

أ - المرحلة الأولى .

ب- المرحلة الثانية :

العام الأول : يسوع المسيح .

العام الثانى : الروح القدس .

العام الثالث : الله - الآب .

جـ- بغية الاحتفال .

٥- "يسوع المسيح هو نفسه ..... إلى الأبد" .

ويتضمن القسم الأول ثمانية بنود، يوضح خلالها البابا : سر الثالوث ومساواة يسوع الأب، ومساواة الروح القدس ليسوع، وكيف ان "**المسيح فادى العالم**" هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (بند ٤) .

لأن "المسيح هو الله حقًا، وهو إنسان حقا، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضًا، وهو البداية وهو النهاية" (بند٥) .

ذلك لأن السيد المسيح لا يتحدث إلى البشر باسم الله، مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه؛ الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت . وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى ؛ التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله . أما فى المسيحية؛ فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة . **وهنا لا يذهب الإنسان بحثا عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصيًا، للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالوصول إليه .**

وبهذه الصورة، فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى" (بند٦) .

"وإن ديانة التجسد هى ديانة فداء العالم بفضل تضحية يسوع التى تتضمن الانتصار على الشر ، وعلى الخطيئة، وعلى الموت نفسه" (بند٧) .

أما فى القسم الثانى، الخاص بيوبيل عام ألفين ويتضمن ثمانية بنود أيضًا، فيحاول البابا الزج فيه بأكثر من نقطة لها مغزاها : فمن ناحية، يقوم بتعريف عبارة اليوبيل والتفرقة بين احتفال اليهود لها، وبين المعنى الجديد الذى يضفيه عليها ؛ وفى نفس الوقت يقوم بعملية تمهيد لاهوتية لمشروعه **باسقاط ديون العالم الثالث مقابل تنصيره**، ومحاولة البرهنة ضمنًا وبلباقة تنساب وكأنها تلقائية، على أن العهد الجديد يتضمن تشريعًا ! وهنا يقول نيافته : **"بخلاف تحرير العبيد فى السنة السبتية، فإن الشرع كان ينص على إسقاط كافة الديون وفقا لمعايير محددة"** (بند ١٢) .

"وفى الإطار القانونى ارتسم بالتدريج مذهبًا اجتماعيًا، تطور فيما بعد بوضوح أكثر ابتداء من العهد الجديد" (بند١٣) .

ومن هنا يخرج البابا بأهمية هذه الألفية "لا بالنسبة للمسيحيين فحسب، وإنما بشكل غير مباشر للإنسانية بأسرها، نظرًا للدور القيادى الذى مارسته المسيحية خلال هاتين الألفيتين .

ومما له مغزاه، أن التقويم يتم فى كافة أنحاء العالم، اعتبارًا من مجئ المسيح فى العالم : وهذا المجئ هو أيضًا مركز التقويم الأكثر استخداما اليوم" (بند١٥) .

ثم ينهى هذا القسم برجاء توحيد كافة الكنائس من أجل الإعداد لهذا اليوبيل وتحقيق بنوده الاحتفالية، معتبرًا سيادة التقويم الميلادى علامة إلهية على وجوب سيادة المسيحية وفرضها على العالم متناسيا أن الاستعمار هو الذى فرضه قهراً وتغريباً !

ويدور القسم الثالث، الخاص بالإعداد لليوبيل الكبير ويقع فى اثنى عشر بنداً، بإضفاء شرعية إلهية على هذا الاحتفال، والتوسع فى شرح وتبرير المجمع الفاتيكانى الثانى، مع إضفاء نفس الشرعية الإلهية عليه "لأنه متمركز حول سر المسيح ومنفتح على العالم" (بند ١٨) .

وهنا يوضح البابا : أن كل أحداث القرن العشرين "وكل ما وقع طواله يوضح، أكثر من أى وقت مضى أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية" (بند١٨) .

أى إنه يربط بين الاحتفال بهذا اليوبيل وبين قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى بشكل لا انفصام فيه، أو كأن هذا اليوبيل يأتى تتويجًا لقرارات ذلك المجمع "الذى تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، والأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسى للتبشير، بل والتبشير الجديد الذى تم إرساء قواعده فى الخطاب الرسولى للبابا بولس

السادس عام (١٩٧٥م)، والمعنون "تبشير الإنجيل" الذى أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسى للأساقفة" (بند٢١) . وهو المجمع الخاص بتنصير العالم.

ثم يتناول البابا يوحنا بولس الثانى، جهود البابوية فى روما باقتضاب، وكيف أنهم عملوا جميعًا وعلى التوالى للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل بصور مختلفة متناسقة، وكيف أن البابا بولس الثانى عشر (١٩٣٩-١٩٥٨م) قد "أعطى توجيهات شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمى الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة" (بند٢٢) .

وفى البند (٢٧) يقول البابا :"من الصَعب ألا نلحظ أن "العام المريمى" قد سبق عن قرب أحداث عام (١٩٨٩م) وهذه الأحداث لا يمكنها إلا أن تدهشنا باتساع مداها، وخاصة بسرعة سياقها، إذ إن أعوام الثمانينات قد انساقت، وهى مثقلة بخطر متزايد، عقب الحرب الباردة وسنة (١٩٨٩م) قد أتت بحل سلمى، اكتفى إن أمكن القول، بشكل متطور "عضوى" وعلى ضوء هذا الحل نشعر بأننا مدفوعون إلى الاعتراف بمعنى نبوئى للخطاب الرسولى المعنون "الشئون الحديثة" : فما كتبه البابا ليون الثالث عشر عن الشيوعية قد تم تحقيقه، مثلما أوضحت ذلك فى الخطاب الرسولى المعنون "السنة المائة"[1] ومن الواضح أنه يمكننا القول فيما يتعلق بهذه الأحداث : إن يد الله الخفية كانت تعمل باهتمام أمومى : فهل يمكن لأم أن تنسى ابنها الصغير؟ (عن٤٩/١٥)" .

الأمر الذى يوضح إلى أى مدى تتدخل الكنيسة الفاتيكانية فى الشئون السياسية لا فى بلدها فحسب، وإنما فى العالم أجمع .

---

(١) هو الخطاب الرسولى الذى كتبه يوحنا بولس الثانى، بمناسبة مرور مائة عام على خطاب "الشئون الحديثة" .

وهذا "**العام المريمى**" الذى يشير إليه البابا كان بمثابة الغطاء الدينى الـذى قـام به لإحياء الكنيسة الأرثوذكسية فى الاتحـاد السـوفيتى، بـاختلاق ظهـور العـذراء ليبدو مخطط ضرب اليسار، وكأنه تم فى شكل "تطور عضوى" تسانده مايكتبونه من "نبوءات" فى خطبهم الرسولية !! لذلك ينهى هـذه الفقـرة بالإشـارة إلى يـد الله الخفية و"**اهتمامها الأمومى**"، وهى عبارة تشير ضمنًا إلى : المرتبة التى قـامت الكنيسة برفع السيدة مريم إليها فى الخمسينات ومسـاواتها "**بـا لله الثلاثـى**" بمـا أنها أم إحدى شخصياته الثلاث !!

ثم ينتقل البابا إلى ما بعد عام (١٩٨٩م)، أى بعد الأحداث التى سـاهم فيهـا شخصيًا لإسقاط الشيوعية، قائلاً : "**غير أن المخاطر الجديـدة التـى لاحـت بعـد عام (١٩٨٩م) والتهديدات الجديدة الناجمة عنها، قد أوضحت خطر صحـوة القوميات، مثلما هو واضح فى أحداث البلقان، والمناطق القريبة، الأمر الـذى يلزم الدول الأوربية بمراجعة ضميرها والاعتراف بالغلط والأخطاء التاريخية فى الحالات الاقتصادية والسياسية تجاه الأمم، التـى قـامت الإمبرياليـة فـى القـرن الماضى وفى القرن الحالى : بنهب حقوقها بجانب**" (بند٢٧) .

والغلط الذى يعنيه البابا هنا هو تـرك بعـض البلـدان الأوربيـة تقـع فـى براثـن اليسار السياسى والاقتصاد الاشتراكى .

أما فيما يتعلق بالإعداد الفورى لهذا اليوبيل، وهو موضوع القسـم الرابـع مـن هذا الخطاب الرسولى، ويقع فى سبع وعشرين بندًا، فإن أول مـا يتفـوه بـه البابـا هنا، هو ضرورة مراعاة إمكانية تنفيذ هذا المخطط الاحتفالى فـى كافـة الكنـائس المحلية، وبخاصة "**تلك التى تعيش فى ظروف شديدة الاختلاف**" (بنـد٢٩) . أى فى بلدان غير مسيحية .

لذلك يقوم بتقسيم الفترة الزمانية الباقية من هذا القرن إلى مرحلتـين، علـى أن تكون المرحلة الأولى : بمثابة إعداد الأتباع وتهيئتهم نفسيا بصورة عامة، ثـم يتـم

التركيز بعد ذلك على المرحلة الثانية : وهى آخر ثلاث سنوات فى هذا القرن، **"تخصص كلها للاحتفال بسر المسيح المنقذ أى بسر تكوينه الثلاثى"** (بند٣٠).

ويرى البابا أن تتضمن المرحلة الأولى : الاعتراف بالأخطاء، والاهتداء، أى عملية المصالحة بين مختلف الكنائس واعتناقها لكاثوليكية روما .

وهنا يوضح البابا أنه **"من المفيد أن تعبر الكنيسة هذه الفترة من بداية الألفية الثالثة، وهى مدركة تمامًا لكل ما عاشته طوال العشرة قرون الماضية، إذ أنه لايمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها إلى التطهر، وذلك من خلال الندم على الأخطاء، والخيانات، والتناقضات، والتباطؤات، فالاعتراف بأخطاء الأمس تمثل : فعل أمانة وشجاعة، يساعدنا على تقوية إيماننا، ويجعلنا نتبصر إغراءات ومصاعب اليوم، ويعدنا على مواجهتها"** (بند٣٣) .

ويعنى البابا بأهم هذه الأخطاء، **"تلك التى أدت إلى المساس بالوحدة التى أرادها الله لشعبه"** (بند٣٤) .

والتمزقات التى تعرضت لها صفوف الإكليروس **"التى تمثل فضيحة فى نظر العالم"** (بند(٣٤).

ومنها **"الموافقة -التى تمت بخاصة فى بعض القرون- لاستخدام أساليب التعصب بل والعنف فى خدمة الحقيقة"** (بند٣٥) .

ولكى ينصف الحكم على التاريخ يحدد البابا :**"إنه يجب أنْ نأخذ فى الاعتبار، الظروف الثقافية السائدة آنذاك، فقد اعتقد الكثيرون بكل صدق، تحت تأثيرها، أن الولاء الصادق للحقيقة هو أخراس رأى الآخر أو على الأقل تهميشه"** (بند(٣٥) .

ثم ينتقل البابا إلى أخطاء الحاضر ومنها : عدم المبالاة الدينية، وضياع مفهوم تعالى الحياة البشرية وتصعيدها، والتخبط فى المجال الأخلاقى حتى فيما يتعلق بالقيم الأساسية واحترام الحياة واحترام الأسرة، لذلك يرى أنه **"يتعين على الأتباع مراجعة مدى تأثرهم بالعلمانية والدنيوية والنسبية الأخلاقية"** (بند٣٦).

وبخاصة : **"أولئك الذين ينساقون إلى نوع من الديمقراطية ونوع من الاجتماعية التى لا تحترم الرؤية الكاثوليكية للكنيسة، ولا أصالة روح مجمع الفاتيكان الثانى"** (بند٣٦) .

وينتهى هذا الجزء بضرورة إقامة مجامع كنسية أسقفية قارية، من قبيل المجمعين اللذين أقيما فى روما بشأن كل من أوروبا وإفريقيا، على أن يخصص واحد للأمريكتين، حول عملية التبشير الجديدة، وآخر حول آسيا التى تطرح فيها بصورة أكثر إلحاحًا عملية لقاء المسيحية، مع الثقافات والديانات المحلية الشديدة القدم . الأمر الذى يمثل تحديًا كبيرًا بالنسبة لعملية التبشير لأن الأنسقة الدينية، مثال : البوذية، والهندية، ذات طابع مشابه للمسيحية، إذ إنها تعتمد أيضًا على فكرة **"منقذ"** (بند٣٨) .

وهنا يؤكد البابا : إنه لمن الأمور الشديدة الإلحاح أن يتم انعقاد مجمع كنسى بمناسبة اليوبيل الكبير، لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح ؛ الذى هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر والمخلص الوحيد للعالم، مع تمييزه تماما عن مؤسسى الديانات الكبرى الأخرى، والتى نجد فيها رغم ذلك بعض عناصر من الحقيقة، والتى تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق، إذ ترى فيها انعكاسا للحقيقة التى تنير كافة البشر (بند ٣٨)، أى الحقيقة المسيحية .

كما يطالب البابا بانعقاد مجمع كنسى أسقفى آخر خاص بالمنطقة الأقيانوسية **"حيث يجب عدم إهمال موضوع لقاء المسيحية مع تلك الأشكال الشديدة القدم من التدين والمتميزة باتجاه وحدوى، الأمر الذى له مغزاه الشديد"** (بند٣٨) . ويقصد بها الديانة البوذية أساسًا: القائمة أيضا على فكرة الفداء .

أما المرحلة الثانية لهذا المخطط، والتى تأتى بعد ما أطلق عليه تهيئة المناخ العام، فيرى البابا: أن تمتد على ثلاث سنوات، من (١٩٩٧ إلى ١٩٩٩م) **"على أن تكون البنية الموضوعية لهذه**

السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن الله وقد تجسد بشرًا، وهو احتفال لا يمكن أن يكون لاهوتيا، أى متعلقا بالثالوث" (بند٣٩) على الطريقة الكاثوليكية .

فالعام الأول (١٩٩٧م) سيخصص للتأمل حول السيد المسيح، ويرى البابا: أنه لابد من التأكيد هنا على إبراز الطابع الشديد للمسيحية لليوبيل، الذى سيحتفل بسر الخلاص لكافة البشر: "**يسوع، المسيح، المنقذ الوحيد للعالم، بالأمس، واليوم، وإلى الأبد**" (بند٤٠) .

مع العمل على "**إعادة اكتشاف المسيح منقذا ومبشرًا**" (بند٤٠) .

مع إحياء مضمون الأسرار السبعة للكنيسة، وبخاصة التعميد، الذى يمثل وفقًا لكتاب التعليم الدينى الجديد [الذى أصدره البابا فى ديسمبر ١٩٩٢م]: "**أساس التقارب بين كافة المسيحيين، وكذلك بين كل الذين لم يتقاربوا بعد كلية من الكنيسة الكاثوليكية**" [بند٤١]. أى اليهود والمسلمين وأتباع الديانات العالمية الأخرى .

وينهى البابا (البند ٤٤) من القسم الرابع لمخططه قائلا: "**ومن قبيل الاهتمام بالواقعية، يجب عدم إغفال ضمير الأتباع فيما يتعلق بالأخطاء التى تمس شخص المسيح، مع توضيح المعارضات الواضحة ضده وضد الكنيسة بدقة**" ولا يسع المجال هنا لتناول كل هذه المعارضات التى تمتد على مدى ألف عام .

والعام الثانى لهذا الاحتفال (١٩٩٨م) يكرسه البابا للروح القدس "**بما أن سر التجسد قد تم بفضل الروح القدس المساوى للأب والابن**" (بند ٤٤) .

وهو عكس ما تؤمن به الكنائس الأرثوذكسية؛ ولم يفت البابا أن يوضح، أهمية الروح القدس فى نظره، فهو الفارقليط الذى سيرسله الأب بأسمى يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ٢٦: ١٤) (بند ٤٤) .

لذلك يرى البابا أنه يتعين على المسيحيين "**أن يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء**

رجائهم فى المجئ النهائى لمملكة الرب .... وذلك بإبراز قيم الرجاء الواضحة، فى نهاية هذا القرن ..... والتى تتضح فى التقدم الذى أحرزه العلم .... والتزود بإحساس أكبر بالمسئولية حيال البيئة والجهود المبذولة لإقامة السلام والعدل فى كل مكان تم اغتصابهما فيه، وإرادة المصلحة والتضامن بين الشعوب المختلفة وبخاصة العلاقات المعقدة بين الشمال والجنوب فى العالم .... والعمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات ومع الثقافة المعاصرة" (بند٤٦) .

أما العام الثالث والأخير (١٩٩٩م) فسيخصص لتمجيد الأب الثلاثى التكوين، والعمل على إبراز قيمة المحبة والرحمة، خاصة وأن الطريق إلى العدالة والسلام فى هذا العالم "تحفه العديد من الصراعات وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية المتعددة الأشكال" (بند٥١) .

وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساوة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية، ونهبها لموارد العالم الثالث، أو لأهل الجنوب أينما كانوا .

يرى البابا أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة "لحظة سانحة ليتم فيها التفكير إلى جانب أشياء أخرى -لم يفصح عنها نيافته- فى تحقيق هام، إن لم يكن فى إلغاء بالكامل للديون الدولية التى تثقل على العديد من الأمم بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة التأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج" (بند٥١) .

ويوضح البابا فى البند (٥٢) لهذا المخطط، المنشور السياسى، أهم حقلى عمل يجب توليتهما عناية خاصة وهما "المواجهة مع العلمانية، والحوار مع الديانات الكبرى" وفيما يتعلق بالنقطة الأولى يجمعها فى عبارة "أزمة الحضارة" كما هى واضحة فى الغرب المتقدم نفسيًا، وإن كان أكثر افتقارًا نفسيًا لنسيانه الله أو لتهميشه إياه .

أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان، فيرى أن تتم مواصلة ذلك الحوار "**وفقا للتعليمات الشديدة الوضوح التى أملاها المجمع الفاتيكانى الثانى فى بيان "فى زماننا هذا" حول علاقات الكنيسة مع الديانات المسيحية**" (بند٥٣) .

متمنيا إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود والمسلمين "**فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات الكبرى التوحيدية**" (بند٥٣) .

لذلك يرى "**دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية فى بيت لحم، والقدس، وجبل موسى فى سيناء، وهى أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع أتباع الإسلام وأيضا ترتيب لقاءات مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم فى مدن أخرى. مع الحرص دوما على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة**" (بند٥٣) .

وفيما يتعلق بالاحتفال الكبير، فيرى نيافته "**أن يتم ذلك فى آن واحد فى كل من الأراضى المقدسة، وفى روما، وفى كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع**" (بند٥٥).

على أن تكون غاية الاحتفال هى: "**تمجيد الثالوث**" (بند٥٥) .

وأن يقام فى روما بهذه المناسبة "**مؤتمر عام لسر القربان**" (بند٥٥) .....أى أن يكون عام ألفين؛ هو العام الدولى للقربان أو عام الخلاص للعالم أجمع كما أطلق عليه .

وينهى البابا خطابه، بالإشارة الخاطفة حول إنجازات الكنيسة فيما يتعلق بعمليات التنصير فى العالم، موضحًا أنه على الرغم من انحسار المسيحية فى الغرب إلا أنها تزدهر فى كل من إفريقيا وآسيا، بفضل نشاط مبشريها، مؤكدًا: "**إن الكنيسة ستواصل مهمتها التبشيرية فى المستقبل أيضا، فالطابع التبشيرى يمثل بالفعل جزءًا من طبيعتها**" (بند٥٧) .

ومن بين التعليقات الشحيحة التى صدرت حول هذا الخطاب فى الصحف الفرنسية، ماكتبه "هنرى تانك" فى جريدة لوموند (١٩٩٤/١١/١٥م) مشيرًا إلى أن"إعدادات البابا لاتفتقر إلى الجرأة أو إلى التنسيق .... إذ يبدأ خطابه بتأمل

طويل حول مغزى قيمة الزمان ليؤكد على سيادة المسيحية على كافة الديانات، ثم يتناول سر التجسد -أى تجسد الله عز وجل فى السيد المسيح-، وهو السر الذى يمثل مولد المسيح بالنسبة للمسيحيين. ويوضح البابا فى هذا الجزء، كيف أن التراث الوارد بالعهد القديم بكله، يرمى إلى قضية انتظار "مسيَح" وأن هذا المسيح فى نظره هو "عيسى" الذى أتى منذ ألفى عام لإتمام هذه الرسالة، بغض الطرف عن دقة التواريخ، إذ. إن التراث المسيحى يحدد مولده بخمسة أعوام أو أربعة، قبل التقويم الميلاى، وهناك من يعود به إلى العام التاسع أو السابع قبل نفس التقويم! .

ويواصل هنرى تانك، عرضه للخطاب الرسولى قائلاً: "**ويقرأ المرء بحرج شديد أحيانا تلك الصفحات التى يقول فيها البابا: إن دخول الله فى التاريخ البشرى بمثابة تطلع، نجده فى كل الديانات، إذ أن يسوع بالنسبة للمسيحيين هو الله وهو إنسان فى آن واحد.....وان المسيح هو تحقيق تطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى" !**

ولاشك فى أن الحرج الذى يشعر به كاتب المقال، ناجم عن إلغاء نيافة البابا للديانات الأخرى بجرة قلم، التوحيدية منها وغير التوحيدية، كما أنه حرج ناجم عن كل مايعرفه الكاتب من معلومات مؤكدة تشير إلى كل ما تم فى المسيحية من تلاعب وتبديل، وتكفى عبارته القائلة :" **وإن هذا "المسيح" فى نظره هو عيسى"** فالثابت تاريخيا أن إشارات العهد القديم تلك لم تكن تعنى عيسى ابن مريم؛ وإنما تعنى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ويواصل الكاتب معلقًا على العبارة السابقة قائلا: "**إنه لايشير إلى التراث التبشيرى الذى هو خاص باليهودية، ولا للتراث الإسلامى الذى لا يرى فى يسوع سوى نبى من الأنبياء" .**

ثم يوجز عرض البابا لقضية "التجسد" هذه والتىيقول عنها: إنها تجعل من الإنسان "كائنا روحيا وخالدا أساسا، والتى تتميز بها الديانة المسيحية وحدها"

قائلا: "**إن هذا الطابع الاحتكارى المضفى على التجسد المسيحى، لم يمنع البابا من رؤية منظور توحيدى لضم الكنائس، بأوسع معانى الكلمة، وهو منظور يشتمل، أيضًا، على العقائد اليهودية، والإسلامية والشرقية. التى ينوى البابا يوحنا بولس الثانى، أن يضمها للاحتفالات التى يعلن عنها بمناسبة بداية الألفية الثالثة للمسيحية. بل إنها المحور الأساسى لهذا الخطاب الأخير**" .

ثم يتعرض الكاتب هنرى تانك إلى الانقسامات التى اتسمت بها الألفية الحالية، والتى أوضح البابا؛ أنها تشتمل على عدة قضايا منها التمزقات المؤلمة التىعرفتها جماعة الإكليروس، وهى انقسامات تتناقض صراحة مع إرادة المسيح، وتمثل فضيحة فى نظر العالم، إلا أن هذهً الأخطاء المتعلقة بالماضى مازالت ترمى بثقلها للأسف. لذلك من الضرورى أن نقر بالذنوب ونعترف بها جهارًا، مستجدين غفران المسيح بقوة ...... لأن الكنيسة لايمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها على التطهير من خلال الندم على الأخطاء والخلافات والتنافرات والتباطؤات" غير أن الكاتب يوضح قائلاً: "**إن البابا لايشير فى هذا الجزء من الخطاب إلى الجرائم التى وقعت باسم محاكم التفتيش الكاثوليكية أو عن طريق التنصير الإجبارى" ولا إلى** "الحروب الدينية المسيحية" ولا إلى "**مذابح الهنود الحمر على أيدى المبشرين [الكاثوليك]**" ولا إلى "**مذابح اليهود التى لم يشر إليها بكلمة أيضًا**" الأمر الذى يلطخ الكنيسة وتعصبها بما يصعب اغتفاره على مر التاريخ فى نظر هنرى تانك ...... وهى جرائم نضيف إليها مذابح المسلمين، التى لم يشر إليها لا البابا، ولا الذين تناولوا التعليق على خطابه، لكى لا نقول شيئا عن مذابح الإسلام الدائرة فى كل مكان ولا عن كل ماعاناه المسلمين من محاولات، لاقتلاعهم بالقتل، أو بالتنصير، منذ الحروب الصليبية بصورها المختلفة حتى يومنا هذا. إلا أن البابا على مايبدو لا يهتم سوى بما دار من قبل الآخرين من مجازر، متناسيا ما قام به التعصب الكاثوليكى منذ بداية مشواره

ومن اللافت للنظر - من حيث القدرة على بتر الحقائق والمجاهرة بعكسها- أن يدغم البابا كل هذه الجرائم فى عبارة مقتضبة مغلفة تقول: **"لا يمكننا ألا نأخذ فى الاعتبار الظروف الثقافية التى سادت آنذاك"!**......بمجرد ظروف ثقافية! .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأخطاء والجرائم التى يتحدث عنها البابا تعنى: ما قامت به المذاهب والطوائف المسيحية الأخرى فى حق الكاثوليكية التى يترأسها، لذلك يطالبهم بالمجاهرة بأخطائهم، وبجرائمهم فى حق الكنيسة الأم، حتى يمكن جمع شملها .... وهو ما دفعه إلى توضيح: **"إن افضل إعداد لاحتفالات انقضاء ألفى عام لا يمكن أن يتم التعبير عنها، إلا بتجديد الوعد بالالتزام بتطبيق تعاليم مجمع الفاتيكان الثانى على حياة كل فرد وعلى كل كنيسة"** .

وقد شرع البابا بالفعل فى عملية إدماج الكنائس - بغض الطرف عن خلافاتها العقدية الجذرية التى لم تحل- وذلك باتخاذ إجراءات إعادة صياغة قوائم الشهداء وسائر القديسين لمختلف الطوائف المسيحية الأساسية فى قائمة واحدة، من أجل حث خطى تنفيذ عملية الكنيسة العالمية الموحدة، على أن تتضمن القائمة شهداء الكاثوليك، والأرثوذكس والأنجليكان والبروستانت، لأن **"توحيد القديسين والشهداء -فى نظر البابا- قد يكون أكثر إقناعا فى التقريب بين الكنائس"!** .

وفى نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى، وهى خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسى وشرائعه، وقبل الرد على بعض أهم النقاط الواردة به، لايسعنا إلا أن نبدأ بالتساؤل حول ذلك المغزى الكبير وغير المعلن "لعام بأسره عن "القربان" والذى تسبقه عملية إسقاط هامة للديون الدولية التى تثقل على مصير العديد من الدول، إن لم يكن إسقاطًا كاملا لها ؟! ترى هل

سيتم إسقاط ديون العالم الثالث فى الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره، أو ثمنًا له، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القربان تدشينا لذلك التنصير المدفوع الأجر؟!.

و إذا ما حاولنا استخلاص أهم النقاط الواردة فى هذا الخطاب الرسولى، سنجد أنها تتعلق بالموضوعات التالية: الإنجيل. الكاثوليكية. يسوع. توحيد الكنائس واقتلاع الديانات الأخرى. الانقسامات. وضرورة الاعتراف بالأخطاء من أجل إقرار الحقيقة. مجمع الفاتيكان الثانى .

وعبارة "الحقيقة" من أهم العبارات التى يستخدمها البابا يوحنا بولس الثانى فى أحاديثه وخطبه..... تلك الحقيقة التى وصل وله بها، وإيمانه بأهميتها إلى درجة جعلته يفرد لها خطابا رسوليًا بأسره، صدر فى شهر أكتوبر الماضى (١٩٩٣م) بعنوان **"روعة الحقيقة"**(١) .

والحقيقة رائعة... رائعة ولاشك فى روعتها رغم كل ما تسببه من آلام ومعاناة أحيانًا... وهى لا تفرض نفسها إلا بقوة ما تحمله من حقائق - كما أوضح البابا فى مكان ما بخطابه هذا- إلا أن "الحقيقة" القائمة على الزيف والتحريف وطمس الحقائق التاريخية المعاشة تختلف عن الحقيقة الحقة .

وبما أن البابا لا يتناول، بل ولا ينظر إلا إلى نوع واحد من "الحقيقة" فقد رأينا أن نعرض لبعض الحقائق التى تعمد "إخراسها" أو "تهميشها" كما يقول عن الآخرين .

ولكى نضرب مثالاً لما نعنيه، نورد تلك العبارة التى قالها البابا عن الأخطاء السالفة للكنائس الأخرى: "لايمكننا إلا أن نأخذ فى الاعتبار **الظروف الثقافية** التى سادت آنذاك". والقارئ العادى لهذه العبارة لا يرى فيها سوى المنطق السليم المحايد، غير إنه إذا ما قرأ ما أورده هنرى تانك فى عرضه للخطاب، وكل ما سرده من جرائم قامت بها الأيادى العابثة فى الكاثوليكية على مر العصور، لتغير موقفه .

---

(١) قمنا بالتعليق عليه فى كتابنا المعنون: "تنصير العالم" .

وإذا ما حاولنا اتباع نفس المنهج فى عرض الجانب الآخر من الحقائق لأهم النقاط الواردة بهذا الخطاب الرسولى، أو بهذه الخطة الخمسية للبابا، لوجدنا صورة فظيعة نذكرها فيما يلى، إلا أننا نبدأ بفقرة مقتضبة حول الثالوث الذى يقام عليه الاحتفال برمته لنوضح :

إن الثالوث لم يرد ذكره إطلاقا فى الكتاب المقدس بعهديه، وإنه عبارة عن رمز تم نسجه على مر الأيام. وإن المسيحيين لم يعرفوا عبارة التثليث قبل نهاية القرن الثانى الميلادى. وإن أقدم استخدام لها وارد عند تيوفيلس الإنطاكى فى كتابه المعنون: "إلى أوتوليكوس". وقد أدى هذا التحريف الثلاثى لله سبحانه وتعالى إلى العديد من الانقسامات حتى بعد تثبيته رسميًا، أو إجباريًا فى مجامع القرن الميلادى الرابع. وهو محاولة للمزج بين تعاليم المسيحية كما أتى بها السيد المسيح، وبين الديانة الهالينية؛ التى هى امتداد للديانة المصرية القديمة. وذلك بغية اكتساب أكبر قدر من الأتباع. وهى نفس العملية التى يحاول البابا القيام بها وتغافله الخلافات الحقيقية بغية تنصير العالم بأى ثمن وبأية وسيلة! .

الإنجيل: من المعترف به يقينًا أن الأناجيل المتداولة، حاليًا، قد تمت كتابتها بعد وفاة السيد المسيح بفترات، ما زال الاختلاف دائرًا حول طولها؛ إلا أن الاختلافات العقدية الشديدة الوضوح بينها، والإشارة فى بعضها إلى واقعة استيلاء الرومان على مدينة "القدس" آنذاك، لدليل قاطع على أنها قد صيغت بعد عام سبعين ميلادية، دون أن نذكر شيئًا عن كل ما اعتراها من تغيير وتبديل ما زال يتم من طبعة لأخرى ......إلا أن ما نود التأكيد عليه هو: أنها قطعًا ليست **"الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى"** وبالتالى فلا يمكنها أن تكون **"رسالة تحرير لكافة شعوب العالم"** كما يقول نيافة البابا !

الكاثوليكية: تشهد الوقائع التاريخية المعاشة بأن ما قام به التيار العابث المتعصب فى الكاثوليكية هو الذى أدى إلى الخلافات العقدية الجذرية بين الكنائس، وإلى انقسامها إلى مذاهب متباينة متناحرة. وقد قام نفس هذا التيار

العابث بفرض عبارة "**هرطقة**" على كافة هذه المذاهب المسيحية المنشقة عليه، بل وعلى الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام الذى أتى كاشفا، ومصوبا لكل ما تم من تحريف أساسى فى المسيحية، وجرفها بعيدًا عن مصارها التوحيدى المنزل .

والتاريخ المعروف، المعاش، يقول: إن رسالة التوحيد نزلت على موسى عليه السلام، تشريعًا دنيويًا وأخرويًا. وإنه حينما انحرف اليهود عن مصارهم، أتى السيد المسيح عليه السلام، مصوبًا لهذا الانحراف فحسب، فهو القائل: "**ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت من أجل خراف إسرائيل الضالة**" .

لذلك أتت المسيحية خالية من أى تشريع لأنها استمرار لنفس الناموس التوحيدى السابق، و لم تتضمن سوى توجيهات إنسانية لتلك "الخراف الضالة" .

وحينما أصرت هذه "الخراف" على انحرافها وضلالها وتمادت فيه وفى تحريف رسالة التوحيد وشرائعها، أتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام مصوبًا لما ألم بالرسالة، وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن؛ تشريعًا؛ دنيويًا؛ وأخرويا؛ لكل زمان ومكان. ذلك لأنه يتضمن أكثر من خمسمائة حكم من الأحكام المطلقة. والحكم المطلق هو الذى يمكن القياس عليه مجردا، فى أى زمان وفى أى مكان. فكيف يطالعنا البابا "سيادة المسيحية على كافة الديانات" وكيف يجاهر بسيادة الكاثوليكية التى يترأسها ويسعى لتنصير العالم وفقًا لها ؟! .

يسوع: تقوم المسيحية الحالية على اعتبار أن الله عز وجل هو السيد المسيح، وهو نفس ما يواصل البابا على تأكيده، بل يصل به التعنت إلى درجة اعتبار "أن السيد المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم وهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى" كما يقول فى خطابه الأخير موضوع هذا البحث .

ولا يسع المجال هنا، لعرض كافة الوثائق الدالة على أن السيد المسيح عليه السلام كان نبيًا من أنبياء الله المرسلين وبخاصة مخطوطات قمران، أو البحر الميت المكتشفة عام (١٩٤٨م) ولن نستشهد بآيات القرآن الكريم، التى تؤكد ذلك، وإنما سنكتفى ببعض كلمات السيد المسيح نفسه كما هى واردة فى الأناجيل

الرسمية المتداولة حاليا، حيث نراه يفرق بوضوح لا لبس فيه بينه وبين ا لله سبحانه وتعالى :

"........فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا رب واحد**" (مرقس ١٢: ٢٩) .

"...لماذا يدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو ا لله" (متى ١٩:١٦) .

"....اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: **إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**" (يوحنا٢٠ :١٧) .

"......قلت: أمضي إلى الآب، **لأن أبي أعظم مني**" (يوحنا ١٤: ٢٨) .

".....لأنه مكتوب **للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد**" (متى ٤ :١٠) .

"......ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض، **لأن أباكم واحد الذي في السماوات**" (متى ٢٣: ٩) .

"......**أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من ا لله**" (يوحنا ٨ :٤٠) .

"...**والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني**" (يوحنا ١٤:٢٤).

كما أن هناك آيات للحواريين تدل بما لايدع مجالا للشك بأن السيد المسيح عليه السلام كان نبيا من الأنبياء، ومنها :

"........**هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل**".(متى ١١: ٢١) .

" **قد قام فينا نبي عظيم**" (لوقا ٧ :١٦) .

"......**إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم**" (يوحنا ٦ :١٤).

"**يسوع الناصري الذي كان إنسانًا نبيا مقتدرًا في الفعل والقول أمام ا لله وجميع الشعوب**" (لوقا ٢٤ :١٩) .

وهنا لايسعنا إلا أن نتساءل أيهما نصدق: السيد المسيح الذى تحدث بوضوح لا لبس فيه، أم نيافة البابا الذى يواصل عملية فرض ماتم نسجة علـى مـر الأيـام، لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمـد ﷺ، ومواصلـة محاولـة اقتـلاع الإسـلام التـى بدأت منذ بداية انتشاره؟!

المنظور التوحيدى: تعد عملية توحيد الكنائس، تحت لـواء كاثوليكيـة رومـا، من الملامح التى يتمسك بها محركو هذا التيار، منذ استيلائهم على السلطة فـى القرون الأولى للمسيحية، غير أنه أصبح مـن القـرارات الأساسـية للكنيسـة، منـذ المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢- ١٩٦٥م). ذلك المجمع الـذى قـرر رفع عبارة "هرطقة" عن الكنائس الأخـرى واعتبارهـا كنـائس لإخـوة منشـقين " كما قام بإطلاق عبارة "الأخوة السابقين إلى الإيمان" على اليهود بعد تبرئتهم مـن دم السيد المسيح، كما يقولون، وبعد أن ظلت الكنائس تردد ذلك فى كل قداس من أيام الأحد على مدى ألفى عام تقريبا. وتمت المصالحة الشكلية السياسية، إذ إن المصالحة العقدية -والمفترض أنها الأساس- متوقفة على اعتراف اليهود بالسيد المسيح إلهًا. الأمر الذى يرفضة اليهود جهارًا إذ إنه يعنى تنصير كافة يهـود العـالم بكلمة واحدة !!

فكيف يتغاضى نيافة البابا يوحنا بولس الثانى عن كل هـذه الحقـائق المعاشـة، ويصر علـى "إخـراس" أو "تهميـش" كـل هـذه الخلافـات العقديـة الجذريـة بين المذاهب المسيحية بعضها بعضًا وبين المسيحية واليهودية، إلى جانب إصراره علـى إلغاء وجود الإسلام والديانات العالمية الأخرى لتوحيد شعوب العـالم تحـت لـواء الكاثوليكية التى يترأسها ؟!

الانقسامات: إن الانقسامات التى أشار إليها البابا على أنها **"تمثل فضيحة فى نظر العالم"** لا تمثل مجرد خلافات يمكن دمجها تحت عبـارة شـاملة واحـدة، وإنمـا هى تصدعات عميقة ألمت بذلك البنيان القائم علـى التحريـف؛ وهـى تصدعـات ناتجة اختصارًا لنفس الشكل الحالى للعقيدة والثالوث الذى لم يعد مقنعًا للأتبـاع.

الأمر الذى دفع الكنيسة الهولندية - وهى الكاثوليكية أيضا- إلى إصدار كتاب للتعليم الدينى عام (١٩٦٦م) غير ذلك الذى كان سائدا منذ القرن السادس عشر، لم تورد به ذكر عقيدة الإيمان ولا عبارة الثالوث. فقام البابا يوحنا بولس الثانى بإصدار كتاب جديد للتعليم الدينى، فى أواخر شهر ديسمبر عام (١٩٩٢م) يؤكد فيه تمسك الفاتيكان بموقفه وإصراره على إبقاء العقيدة كما تم نسجها بدءًا بتأليه السيد المسيح فى مجمع نيقيه الأول عام (٣٢٥) ميلادية وكل ما ترتب عليه من إضافات وتبديل .

ولا يسمح المجال هنا لتناول مختلف موضوعات الانقسامات، والتى دفعت بالآلاف من رجال الإكليروس إلى الابتعاد عن الكنيسة وتحكماتها القمعية، وقد آثر العديد منهم مواصلة صلواتهم بعيدًا عن قبضتها، حتى أصبح اليوم فى الغرب ما يطلق عليه "الكنائس المنزلية".

وكل هذا الموقف برمته لا يمثل فضيحة فى نظر العالم، وإنما هو تعصب أكمه لا يرى ولا يسمع ..... أما الفضيحة الحقيقية، بكل ما تحمله من فجاج فى الخروج على تعاليم الله سبحانه وتعالى، هى مواصلة الإصرارا بدأب، لا لفرض هذا التعصب على المسيحيين فحسب، وإنما على العالم بأسره !!

الاعتراف بالأخطاء: لاشك فى أن الاعتراف بالحق فضيلة .....وإن يطالب البابا الكنائس بإقرار ذنوبها والاعتراف بها، ويحث أبناءها على "التطهر من خلال الندم على الأخطاء والخيانات والتنافرات والتباطؤات" تعد من الفضائل التى تحسب له؛ غير أن ما يعنيه نيافته، هو أن تقوم الكنائس الأخرى بإقرار ذنوبها التى اقترفتها فى حق الكنيسة الكاثوليكية، والأخطاء التى اقترفوها بالانشقاق عليها، والخيانات التى قاموا بها بالابتعاد عنها، أو النفور منها، وكشف خباياها، والتباطؤ الشديد فى الرجوع إليها، إلى حضن الفاتيكان الأوحد والوحيد .

وهنا لايسعنا إلا أن نطرح سؤالا: أليس من الأفضل والأكرم للجميع، أن تبدأ الكنيسة الأم بضرب المثل، القدوة على "الأمانة والشجاعة" التى تطالب بها الكنائس الأخرى، وتعترف بكل ما قامت به الأيادى العابثة المتعصبة على مر التاريخ ؟! أليس من الأفضل والأكرم، لنيافة البابا الذى يتغنى بالحقيقة وبروعتها، أن يبدأ هو بتطبيق معاييرها، والاعتراف بكل ما أدى إلى حيود المسيحية الحقة عن مصارها المنزل، وعن رسالتها التوحيدية التى لاتعبد إلا الله وحده لا شريك له، كما قال عيسى ابن مريم وكما نص القرآن ؟! أليست الحقيقة أروع وأصدق من التمسك بقرارات مجمع الفاتيكان الثانى الهجومية المتعصبة المصرة على التحريف والتزييف ؟

مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥م): اتسم هذا المجمع: بأنه أول مجمع هجومى فى تاريخ المجامع، إذ إن المجامع المسكونية السابقة كانت تقام لتثبيت تحريف جديد أو للدفاع عنه، وقد صدرت عن هذا المجمع الفاتيكانى الثانى، قرارات لا سابق لها فى التاريخ الكنسى بأسره، ومنها: توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما؛ واعتبار المسيحين شعب الله المختار -بدلاً من اليهود- بناء على العهد الجديد الذى أقامه بولس الرسول؛ وأن المسيح فادى العالم بأسره، وليس فرديًا لأتباع المسيحية وحدهم، كما كانوا يقولون من قبل، وفرض قسم محاربة الحداثة على كافة رجال الإكليروس، أى عدم السماح لهم بمساس النصوص الإنجيلية والإبقاء على كل ماتم بها من تغيير وتحريف؛ وتبرأة اليهود من دم المسيح (كما يقولون) وهى تبرأة سياسية بحتة لتوحيد الجبهة ضد الإسلام واستتباب الوضع فى فلسطين المحتلة لتأكيد غرض الكيان الصهيونى، وذلك رغم كل ما هو وارد ضد اليهود فى العهد الجديد من الإنجيل، حتى إن بعض الآيات أصبح من المحال قراءتها فى أى قداس لتناقضها مع ما اقترفوه سياسيًا بهذا الاعتراف. ومن قرارات المجمع أيضًا: توصيل الإنجيل إلى كافة البشر، استنادا إلى القرار السابق، والخاص بتعميم عملية الفداء التى لا أثر لها فى الإنجيل والاستعانة بالمدنيين والعلمانيين فى عمليات التبشير من خلال المنظمات

غير الحكومية، إلى جانب مئات المنظمات التابعة للكنيسة مباشرة لتوصيل الإنجيل إلى العالم، وهو المقصود بعبارة "انفتاح الكنيسة على العالم" وإعادة تبشير مسيحيي الكتلة الشرقية وملحدى الغرب، بالإضافة إلى اقتلاع الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام، الذى ما زالت الكنيسة تصر على طمس الوثائق التى تثبت لديهم أنه أتى مصوبا ومكملا للديانة التوحيدية التى تم تحريفها. الأمر الذى جعل البابا يستشهد بآية الفارقليط التى سنتناولها عقب هذه النقطة؛ كما نص المجمع على: أن تتم عمليات التبشير هذه واقتلاع الديانات الأخرى عن طريق الحوار بغية تجنب أية مصادمات، وهى أول مرة تستخدم فيها عبارة "الحوار" فى المجال الكنسى؛ والاستعانة بكافة الكنائس المحلية لإتمام عملية تنصير العالم .

وهنا ندرك ما معنى مطالبة البابا فى خطابه الرسولى هذا "**بتجديد الوعد بالتزام كل فرد وكل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكانى الثانى**" . كما ندرك ما قد تم فرضة على الكنائس المحلية. الأمر الذى يعنى: أن كافة المسلمين، أينما كانوا، وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذى يعيشون فيه، أم هم أقلية فيه، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير "بصبر ودأب" على حد قول البابا فى العديد من خطبه، وإن كانت تتم اعتمادا على التسلل البطئ وعدم المواجهة الصريحة .

ولا يسعنا هنا إلا أن نسأل نيافة الباب عن الصدق والأمانة فى الحوار المزعوم والذى يعنى "تنصير العالم"، كما قالها بصريح العبارة فى الخطاب الذى أشار إليه!.

الفارقليط: يستخدم البابا عبارة "الفارقليط الواردة فى إنجيل يوحنا أكثر من مرة بمعناها المحرف إلى "الروح القدس" فالكلمة أصلا كانت Perikleitos وتعنى "أحمد"، وهى الواردة فى إنجيل برنابا أيضًا والذى تم استبعاده، وقد تم تحريف الكلمة إلى Paraklytos لتعنى "المعزى" أو "المواسى" لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد ﷺ، وقد تناولنا عملية تحريف هذه العبارة بإسهاب فى بحثنا المعنون: "محاصرة.........وإبادة، موقف الغرب من الإسلام". ولا نورد بهذا الصدد

سوى عبارة الأسقف "بنيامين كلدانى" الذى أسلم من جراء هذا التحريف قائلاً: "أتحدى بجسارة كافة الباحثين الضالعين فى اللغة اليونانية القديمة، أن يعارضونى عندما أعلن أن مترجمى النص السريانى واللاتينى، قاموا بأخطاء فادحة فى ترجمتهم" [محمد فى الإنجيل، ص ١٤٦]، وهى صيغة مهذبة لكى لا يقول "قد تم تحريفها إلى" .

وقد كانت تكتب (فارقليط) بالعربية ثم تم تغييرها إلى معز أو مواسٍ .

وإذا ما حاولنا اختصار كل ما تقدم، من عرض لهذا الخطاب الرسولى، الأخير للبابا، والصادر يوم (١٤/١١/١٩٩٤م) إلى محاوره الأساسية لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية :

١- غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث وفرضه على العالم .

٢- مغزاه: إسقاط ديون العالم الثالث ثمنًا لتنصيره .

٣- أهم حقلين عمل أمام الكنيسة فى الفترة القادمة :

أ- المواجهة مع العلمانية .

ب- الحوار مع الديانات، وبخاصة الإسلام (والحوار فى مفهوم البابا يعنى التنصير) .

وبعد هذا الوضوح الذى لامواربة فيه، فى هذه الخطة الخمسية للبابا بغية تنصير العالم، والقيام بجولة "لها مغزاها" كما يقول، فى اقتفاء أثر مؤسس المسيحية كما يراها "إبراهيم وموسى وعيسى" تبدأ من مصر وسيناء إلى القدس، فى فلسطين المحتلة؛ وإصراره الغريب على مشاركة "اليهود وأتباع الإسلام" وقد عز على نيافته كتابة "المسلمون" مثلما كتب "اليهود"، وكأنه لا يعتبر للمسلمين وجودًا. ألهذا الحد يصعب عليه أن يقول عنا: "الأخوة الذين عادوا بالتوحيد إلى مصادره؟ ولا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: [إننا كمسلمين نؤمن بعيسى ابن مريم عليه السلام نبي من أنبياء الله المرسلين: كما هو وارد بالقرآن وكما قال السيد المسيح عن نفسه .

وإننا لانعانى من عقدة الخطيئة التى تفرض الكنيسة توارثها تبريرا لوجودها، فالقرآن يقول لنا: ﴿.....وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى....﴾[الإسراء: ١٥] وبالتالى فلسنا بحاجة إلى من "يفدينا" أو يخلصنا" من هذه الخطيئة. كما يحرم علينا القرآن قبول فكرة التثليث، وما أكثر الآيات التى يقول الله فيها ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...﴾ [المائدة :٧٣] و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص]. ولسنا بحاجة إلى وسيط بيننا وبين الله عز وجل، فقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نعبده وحده وأن نخلص له الدين، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ....﴾[البينة:٥]. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ....﴾[غافر: ٦٠] .

وفى ختام هذا العرض الموجز لمخطط مرير، رخيص، مهين رغم جرأته وتنسيقه؛ مخطط يرمى إلى فرض تنصير العالم فى احتفال عالمى مهيب، عبارة عن قداس قربانى تمجيدًا للثالوث، أناشد الأزهر الشريف وعلماءه وكل ما يحمولونه من أمانة للدفاع عن الإسلام وحمايته، كما أناشد المسلمين أينما كانوا، العمل على مقاطعة هذا الاحتفال التنصيرى، فالمشاركة ولو بالتواجد تعنى القبول ضمنًا، مثلما تعنى التواطؤ صمتا فى عمليات تحريف ومغالطات، الإسلام برئ منها إلى يوم الحساب .

فالمقصود من هذا التواجد هو "كسر الحاجز" الذى بين الديانات، كما يقول البابا، والذى يرى أن ذلك قد تم بالفعل فى الصلاة "الجماعية" التى دعى إليها من "أجل السلام العالمى" وأقيمت فى بلدة أسيز بإيطاليا فى (٢٧/١٠/١٩٨٦) وحضرها مندوبون من كافة المذاهب المسيحية، ومن كافة الديانات العالمية الأخرى، كما تم كسر نفس الحاجز فى الصلاة "الجماعية" العالمية الثانية التى دعى إليها وأقيمت عام (١٩٩٣م) من أجل السلام فى البوسنة !

وهنا لايسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: إن السلام فى البوسـنة ليس بحاجة إلى "صلاة" وإنما بحاجة إلى قرار حاسم لاتخاذل فيه لوقف المذبحـة "العرقيـة، الدينيـة" الدائرة ضـد الإسـلام والمسـلمين، كمـا لايسـعنا إلا أن نتوجـه لكافـة المسـئولين المسلمين، أينما كانوا، أن يكفوا عن التواطؤ فى هذه المسرحية الدائرة منـذ قرابـة ثلاث سنوات، نظن أنها كانت كافية لكشـف "حسـن نوايـا" الغـرب المسـيحى المتعصب .

كما أنها كانت كافية لفضح تفكك المسلمين وتخاذلهم فى الدفاع عن دينهـم وعن كيانهم .

ولا نجد أفضل من قول الله سبحانه وتعالى ﴿... وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا...﴾ [البقرة: ٢١٧] .

فاتحدوا أيها المسلمون، اتحدوا "كالبنيان المرصوص" لا فى الصلوات الاحتفالية فحسب، وإنما فى الدفاع عن الإسلام، الذى استباحوا عرضـه، وعـن نبيـه خـاتم المرسلين الذى كفروا به.

رسالة إلى

حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز

خادم الحرمين الشريفين

حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز

خادم الحرمين الشريفين

السلام عليكم ورحمه ا لله وبركاته،،،

ألجأ إلى جلالتكم لما تتبوؤنه من مكانة أنعم ا لله بها عليكم؛ مكانة لها مغزاها ودلالاتها فى جوار مهبط الإسلام، ومايترتب عليه من أمانة حمايته، وصون أماكنه والحفاظ عليها. أى إن ا لله سبحانه وتعالى قد أضفى على مهام وجودكم مسئولية حماية الإسلام المرتبط ارتباطًا حميمًا ببلادكم وأراضيها المباركة .

وألجأ إلى جلالتكم كمسلمة لا تقنط من رحمه ا لله عز وجل؛ رغم غياهب الرؤية، ومما وصل إليه حال المسلمين من تفكك مفروض عليهم من الغرب المسيحى المتعصب الذى لا يسعى ولا يعمل إلا إلى تحقيق مصالحه حتى ولو دمر العالم كله .

الأمر الذى أدى إلى تبلد أيْهَم للمسلمين، فى إدراك مأساة هذا التفكك وعواقبه، كما أفقدهم، حتى مجرد الإحساس بالمهانة التى هم فيها -وهذا ماجعلنا نلجأ- بعد ا لله- إليكم أملاً فى أن يجعل ا لله العلى القدير حماية الإسلام، المرتبط رمزًا وواقعًا ببلادكم ورسالتكم، وصد الهجمة الضارية التى تجتاحه، أن تتحقق على أيديكم، مثلما جعلكم تتولون حماية وتوسعة رموزه ومبانيه؛ مع الفارق الشديد بين أهمية الحفاظ على الشكل الرمزى الممثل فى الأبنية، والضرورة الملحة فى الحفاظ على الجوهر الأساسى الذى أنزله ا لله رحمة بعباده والذى ختم به عز وجل رسالة التوحيد؛ مع عدم الانتقاص من جهودكم فى توسعة الحرمين الشريفين، وهى جهود لا ينكرها عادل منصف .

إن ما يقوم به تيار التعصب حاليًا فى الغرب المسيحى من حرب ضد الإسلام ليس بجديد. فقد بدأت حروبه منذ بداية انتشار الإسلام كرسالة مصوبة ومكملة لما تم من تحريف فى التنزيلين التوحيديين السابقين، الأمر الذى يثبته القرآن الكريم بوضوح لا ريب فيه، وهى حرب لم تخب و لم تخفت حتى يومنا هذا؛ وإن تنوعت الأساليب وتضافرت الجهود .

فلم يقنع الغرب المسيحى المتعصب باستعمار العالم العربى والإسلامى منذ ثلاثة قرون، واستنزاف موارده الطبيعية والبشرية؛ ولا بما فرضه من استعمار فكرى واقتصادى بعد فشل نظامه الاستعمارى العسكرى؛ كما لم يقنع بما فرضه من عمليات تغريب على هذه البلدان، تواكبها عمليات تنصير معلنة أو متخفية، لفرض انحلال حضارته المادية الاستهلاكية وعقيدته المحرفة .... وإنما وصل به الأمر إلى درجة **"استخدام القادة المسلمين فى ضرب الإسلام ومحاصرته لاقتلاعه بأيديهم المسلمة"!** وهو ما كان قد قرره مؤتمر كولورادو للتنصير، المنعقد عام (١٩٧٨م) من ضمن ما قرر، وخطط فى الأربعين بحثًا التى تناولها لدراسة كيفية التوغل فى أمة الإسلام للقضاء عليها .الأمر الذى لايقبله ضمير أى مسلم مهما تغافل أو تواطأ عمدًا، أو حرجًا، أو عن غير وعى منه، أو حتى مواكبة لمن تم اجترافهم فى دوامة الغرب ومخططاته .

إن سرعة توالى الأحداث الحالية، وتضافرها فى إيقاع محموم، من حروب إبادة وقتل عرقى، وحظر مروض للموت البطئ لشعوب مسلمة، وضغوط سياسية واقتصادية وعمليات تطبيع مفتعلة، أصبحت تفر ض على المسلمين، بل وعلى الإسلام نفسه. إن هذه الأحداث تشكل موقفا لم يتعرض له المسلمون من قبل؛ موقفا يختلف كلية عن أية لحظة من لحظات التاريخ، حيث وصل التعصب الأكمه إلى ذروته بتحديد جدول زمنى لهذا الاقتلاع! .

فقد أعلن البابا يوحنا بولس الثانى عن خطته الخمسية لتنصير العالم بمناسبة

الاحتفال بيوبيل سنة (٢٠٠٠) مع اقتراح العمل على إسقاط ديون العالم الثالث "إلى جانب أشياء أخرى" لم يفصح عنها، لتسهيل عملية تنصيره أو ثمنًا لها !!

وعبارة "**تنصير العالم**" لا تخص البلدان الغربية وحدها، سواء أكانت تلك التى حادت عن المسيحية لتقع فى الإلحاد، أم تلك الجماهير التى تباعدت عن كنسيتها لكل ما اكتشفته فيها من تحريف للحقائق والنصوص. وإنما تتضمن هذه العبارة، أيضًا، العالم الإسلامى برمته، وخاصة المملكة العربية السعودية التى أصبحت تمثل واحدًا من أهم المواقع المستهدفة، حيث إنها "**لم تخضع بعد**" للتنصير وما زالت تقف فى مواجهته، كما سنرى فيما يلى.

وذلك هو محتوى الخطاب الرسولى الذى أعلنه البابا يوحنا بولس الثانى فى (١٤/١١/١٩٩٤) تحت عنوان: "**عشية الألفية الثالثة**" .

وتكمن أهمية الخطاب الرسولى للبابا فى أنه: ملزم لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس التابعة له أوحتى المنشقة عنه عقديا، وذلك بموجب عقيدة الإيمان، وبموجب القانون الكنسى وشرائعه التى تم نسجها عبر المجامع على مر العصور. كما أن سلطة البابا كرئيس لدولة الفاتيكان تتعدى الأربعة والأربعين هكتارًا التى تضم دولته: فهو يحضر المؤتمرات الدولية بهذه الصفة، مثلما حضر مؤتمر هلسنكى عام (١٩٧٥م) حول حقوق الإنسان، أو مؤتمر مدريد عام(١٩٨٣م) حول نزع السلاح. كما أنه يتدخل بنفس الصفة فى مباحثات السلام بالشرق الأوسط: فهو الذى "**أوحى**" بفرض تقسيم القدس فى مؤتمر مدريد عام (١٩٩١م) ذلك المؤتمر الذى أصبح الفاتيكان من بعده لا يتحدث عن "**فلسطين**" وإنما عن "**الفلسطينيين**" .

وتبعتها حملة إعلامية لا مثيل لها فى العالم بأسره، ابتداء من أعياد الميلاد لعام (١٩٩١م)، للتقارب بين الكنائس والإعلان عن احتمال علاقات دبلوماسية بين دولة الفاتيكان وكل من إسرائيل، والأردن، و"**الفلسطينيين**". وهى الحملة التى واكبتها خطوة جديدة أخرى من "خطى" البابا، وهى: الإعلان عن احتمال

انضمام الفاتيكان لمجلس الكنائس العالمى. الأمر الذى ظل يرفضه حتى ذلك الحين- على أنه مؤسسة دولية، تم إنشاؤها عام (١٩٤٨م)، وتضم معظم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الناجمة عن عمليات الإصلاح، بتمويل من المخابرات الأمريكية، كما يشار فى المراجع والموسوعات .

وتطورت الأحداث وفقا للأغراض السياسية والتبشيرية حتى أقام الفاتيكان علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة، معترفًا **"بالأمر الواقع"**. وهذا الأمر الواقع يتضمن ضياع مدينة القدس ثانى القبلتين وثالث الحرمين .

والخطاب الرسولى الأخير الذى أعلنه البابا فى (١٤/١١/١٩٩٤م) بمثابة خطة خمسية للاحتفالات التى يزمع إقامتها بمناسبة بداية الألفية الثالثة. وهو فى مجمله، عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية وغير المسيحية لتشارك فى هذا الاحتفال ككسر وتخط للحواجز التى تفصل بينها، كما أنه مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتنصير العالم وفقًا لها .

وذلك لأن نفس الشكل الاحتفالى الذى خطط له البابا ينقسم إلى جزئين: الجزء الأول لعامى (١٩٩٥، ١٩٩٦). وقد خصه لما أطلق عليه **"عملية الإعداد النفسى"** التى ينوى خلالها إتمام عملية توحيد الكنائس"، أو تحقيق أكبر قدر من هذه المهمة. والجزء الثانى خصه لما أسماه **"تمجيد الثالوث"**، على أن يكرس عام (١٩٩٧م) ليسوع، وعام (١٩٩٨م) للروح القدس، وعام (١٩٩٩م) للآب. وينتهى الاحتفال بمؤتمر عالمى للقربان، يقام فى آن واحد فى كل من روما والقدس وكافة الكنائس المحلية احتفالاً بتنصير العالم .

وإذ ما كانت كافة الحروب الصليبية السابقة تهدف إلى بيت المقدس، فإن البابا يرمى أيضًا إلى أن تنتهى عملية تنصير العالم بنفس المكان تتويجًا لها. وهو ما أوضحه فى البند (٥٣) من خطابه هذا، عند الإعراب عن أمنيته فى إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود، والمسلمين **"فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات**

التوحيدية الكبرى" أى إن الطريق إلى القدس يمر عن طريق أراضى المملكة السعودية وغرس الكنائس بها. لذلك يرى أيضًا :**"دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية فى بيت لحم، والقدس، وجبل موسى بسيناء، وهى أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع أتباع الإسلام، وأيضا ترتيب لقاءات مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم فى مدن أخرى، مع الحرص دوما على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة، عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة"** (بند٥٣) .

ومن الواضح أن الجغرافيا السياسية ليوحنا بولس الثانى ليست عبارة عن استعادة لسلطته على المجتمع العالمى من خلال الكنيسة الكاثوليكي و إنما فرض هيمنتها على العالم بأسره. وذلك هو مانطالعه فى كتاب **"الجغرافيا السياسية للفاتيكان"** الصادر عام (١٩٩٢م) والذى يرد فيه مايلى :

"أين سنذهب صليبيى "شانت يقب" إن لم يكن فى القدس؟ إن هذه الحملات العسكرية التى نظمتها الكنيسة قد بدأت عندما طالب أحد البابوات عام ١٠٩٥ بتحرير الأراضى المقدسة ...... ورغبة البابا يوحنا بولس الثانى فى العودة إلى هناك بعد تسعة قرون تمثل الحلقة الأخيرة التى تتمم نداءه الذى أطلقه من مدينة شانت يقب فى نوفمبر عام (١٩٨٢م) مطالبًا بإعادة تنصير العالم ... إن البابا ودبلوماسيى الفاتيكان يعملون على توحيد الكنائس الشرقية، المتناثرة فى الشرق الأوسط والمنشقة، منذ أزمنة بعيدة، أيام الانقسامات الأولى للكنيسة. ويوحنا بولس الثانى مقتنع بأن هذه الجماعات الأولى للمسيحية التى تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب وبين الماضى والحاضر، يمكنها أن تقوم بتسهيل عملية الحوار بين اليهود والمسلمين. لذلك فهو يزمع استخدامها ليكون أول رئيس روحى يعلن فى أكثر الأماكن رمزية مولد النظام العالمى الجديد للديانات والتعايش السلمى للديانات الثلاث التوحيدية الكبرى، والمصالحة النهائية بين اليهودية والمسيحية والإسلام، كرمز للسلام للإنسانية بأسرها ....وبذلك ستجد الكاثوليكية مكانها الصحيح فى

أراضي يسوع، فكل الحروب الصليبية التي يقودها يوحنا بولس الثانى، وسفرياته فى الزمان والمكان تهدف إلى: تحقيق هذه العودة الكبرى" (صفحة٢٧٥) .

والتعايش السلمي الذى يعنيه البابا، وفقًا لما أعلنه في العديد من خطبه هو أن: تستكين الأمور لتتم عمليات التوغل والتنصير بلا أية مواجهة، أو مقاومة، أو أية ردود فعل عنيفة.

ويطرح نفس هذا البحث الخاص بالجغرافيا السياسية للفاتيكان، سؤالاً عن إمكانية تنفيذ ذلك، موضحًا "إنه بالنسبة لروما، فلابد من الانتقال إلى نفس الموقع لمحاربة الحركات التى تزعم أسلمة العالم العربى أو تهويد إسرائيل. ترى كيف ستتصرف الكنيسة فى ذلك الشرق الأوسط، مهد المسيحية، حيث يحلم يوحنا بولس الثانى بالذهاب إلى هناك؟ ترى هل سيسمح النظام العالمى الجديد بالإعلان عن تواجد أكثر وضوحًا للمسيحيين إلى جانب اليهود والمسلمين؟ إن ذلك هو ما تأمله روما، وهو أيضًا ماتسعى لتحقيقه، لأن البابا لم يعتمد أبدا على السماء وحدها لخدمة أغراضه"! (صفحة٢٢١) .

والهدف لايتوقف عند مجرد الذهاب إلى مدينة القدس حتى "تجد الكاثوليكية مكانها الصحيح" وإنما يرمى إلى أبعد من ذلك بكثير، فالهدف المعلن بوضوح لا مواربة فيه يشير إلى: فتح الأراضى السعودية على مصراعيها أمام عمليات التنصير. الأمر الذى نطالعه بكل سفور ووضوح فى الفقرة التالية من نفس المرجع :"كيف يمكن قبول ادعاءات السلطات السعودية باعتبار أن مجمل هذه المملكة عبارة عن منطقة مقدسة- وليس منطقة الحجاز التى تضم مكة والمدينة فحسب - لأن هذا الموقف يؤدى إلى منع المسيحيين من إقامة أى صليب على ذلك "المسجد" الذى تبلغ مساحته (٢١٤٩٦٩٠) كيلو مترًا مربعًا (صفحة ٢٥٦) .

و إذا ما ربطنا بين هذه العبارة وماسبق للبابا أن أعلنه فى خطبه الرسولية المتعددة لأدركنا مدى تسلط وإلحاح هذه الفكرة فى ذهنه. إذ يقول فى رسالة "فادى البشر" التى أعلنها عام (١٩٩١م) متحدثًا عن عملية التبشير فى البلدان التى لم تعتنق المسيحية بعد، ومنها الأراضى السعودية التى كرمها الله ببيته الحرام، مستشهدًا ببيان مجمع الفاتيكان الثانى الذى قرر "توصيل الإنجيل إلى كافة البشر" قائلاً: "إنها تهتم بالشعوب والجماعات البشرية والأطر الاجتماعية الثقافية، التى لم تعرف بعد المسيح وإنجيله، أو تلك التى لا توجد بها جماعات مسيحية ناضجة بما فيه الكفاية، لتتمكن من تجسيد الإيمان فى محيطها وإعلانه على جماعات أخرى .... إن النشاط الإرسالى المميز أو البيان "إلى الأمم" يتوجه "إلى الشعوب والجماعات البشرية التى لم تؤمن بالمسيح" وإلى "الذين هم بعيدون عن المسيح" حيث " لم تمتد جذور الكنيسة بعد" "والذين لم تنطبع ثقافتهم بعد بالإنجيل ويتميز عن نشاط الكنيسة الآخر بفعل التوجه إلى تجمعات وأوساط غير مسيحية، لأن البشارة بالإنجيل وحضور الكنيسة ليسا متوفرين فيها أو غير كافيين" .

ثم ينتقد نيافته موقف بعض البلدان ويعنى بها المملكة السعودية قائلاً: "إن بعض البلدان تمنع المرسلين من الدخول إليها والبعض الآخر لايحرم التبشير فقط بل الاهتداءات (أى الارتداد عن الإسلام) وحتى أعمال العبادة المسيحية.... إن الكنيسة فى الواقع، لاتستطيع أن تقبل بتحديد، مناطق وموانع سياسية تشكل حاجزًا لحضورها الرسولى .....وهناك مناطق واسعة لم تبشر بعد: شعوب بكاملها ومساحات ثقافية كبيرة الأهمية لم تبلغها بعد بشارة الإنجيل ولا قيام كنيسة محلية" .

ثم يوضح نيافته فى نفس الرسالة أهمية ذلك قائلاً: "من الضرورى قبل كل شئ، السعى لإنشاء جماعات مسيحية فى كل مكان، تكون بمثابة "علامه الله فى العالم"، وتنمو حتى تصبح كنائس فعلى الرغم من ارتفاع عدد الأبرشيات توجد أيضًا مناطق شاسعة تغيب عنها الكنائس المحلية كلية، أو هى غير كافية

نظرًا لاتساع الأراضي والكثافة السكانية، ويبقى علينا عمل هام لزرع الكنيسة وتطويرها. وهذه المرحلة من التاريخ الكنسي، التي نسميها زرع الكنيسة لم تنته، بل لا يزال من الواجب إنشاؤها في كثير من التجمعات البشرية" .

ويرى البابا ضرورة تضافر كافة جهود تيار التعصب المتأجج في المسيحيات الحالية. الأمر الذي يفسر إلحاحه الشديد في تنفيذ عملية توحيد الكنائس، غير عابئ بما بينها من خلافات عقدية، مكتفيًا بالتلويح لها **"بشبح الإسلام والأصولية"**. وهو مانقرأه بنفس الوضوح في الفقرة التالية: **"لابد من تحالف القوى المسيحية، لتكون أقوى درع ضد الإسلام فالاتحاد ضد العدو المشترك الذي ينفث الانشقاق في الجمهوريات الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتي كان في عام (١٩٨٩م) الدليل الحاسم لإقناع الأرثوذوكس بأهمية معاونة الكاثوليك على صحوتهم فوق أنقاض الشيوعية". "الجغرافيا السياسية للفاتيكان" (صفحة٢٦٨).**

لذلك ظل البابا يردد ومازال **"إن الاتحاد يصنع القوة"** من أجل التغلب على ما أطلق عليه **"العدو المشترك"** بينهم؛ أي الإسلام.

وهو ما يلقي مزيدًا من الضوء لا على تدخلاته السياسية والدينية لقلب النظام الشيوعي. الأمر الذي باتت مختلف المراجع والصحف تتناوله كحقيقة لا جدال فيها، وإنما يوضح أساسًا أهمية اللعبة الدائرة حاليًا، وذلك الإيقاع المتلاحق من مؤتمرات ومنتديات ولقاءات وصلوات جماعية، بغية كسر الحاجز النفسي، وكلها تدور تحت لافتة أساسية واحدة تسمى: الحوار .

والحوار في نظر البابا لا يعني مجرد ما نطالعه من فقرات في نفس المرجع الخاص بجغرافيته السياسية، والذي يكشف عن الكثير من الخبايا في صفحاته الاثنتين والثمانين والمائتين، ومنها: **"إن الحوار التوحيدي، الذي هو هدف ووسيلة عملية التبشير الجديدة، لم يزدهر أكثر من أي وقت مصادفة تحت**

حكم البابا البولندى، فبدون ذلك المفتاح لا معنى للأمل في غـزو أو استعادة المساحات التى يتطلـع إليهـا" (صفحـة ٢٤٩) أو عبـارة "لابـد مـن الأخـذ فـى الاعتبار بالتنوع الجغرافي أو الديني للإسلام، فلا يجب طرح نفس المشكلات بنفس الطريقة مع السنيين، أو الشيعة، أو الـدروز، أو الإسماعيليين. لابـد مـن إتقـان تنـوع الحـوار" (صفحـة ٢٥١) الأمـر الـذى يكسـف عمليـات التلاعـب المغرضة التى تتم فى هـذه الحـوارات ..... وإنمـا الحـوار يعنـى فـى نظـره وكمـا أوضحه نيافته فى خطابه الرسولى بعنوان :" رسالة الفادى" .

"إن الحـوار يمثـل جـزءًا مـن رسـالة الكنيسـة التبشـيرية ..... إن الكنيسـة تستعمل الحوار لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريـق تجديـد ضميرهم وحياتهم تجديدًا عميقًا، فى ضـوء سـر الفـداء والخلاص. إن الحـوار الصحيح يرمى إذن بادئ ذى بـدء إلى تجديـد كـل النـاس بـالارتداد البـاطنى والتوبة مع احترام كل الضمائر.... وإن الحوار لايعفى من التبشير" .

ويختتم البابا هذا البند قائلاً: "إن تجديد القلوب عن طريـق الارتـداد والتوبـة هما إذن الفرضية الأساسية والقاعدة الثابتة اللتـان يرتكـز إليهمـا كـل تجديـد اجتماعى طويل الأمد والسلام بين الأمم ..... ولا يمكن لحوار المصالحـة علـى الإطلاق أن يقـوم مقـام إعـلان الحقيقـة الإنجيليـة أو أن يخفـف منهـا وحقيقـة الإنجيل ترمى إلى ارتداد الخاطئ والاتحاد بالسـيد المسـيح"!! . أى إن "الحـوار" الدائر حاليًا مع المسلمين بكل أنواعه مؤدٍ حتميًا -فى نظـر البابـا- إلى ارتدادهـم عن الإسلام واعتناقهم المسيحية لكى يعم السلام بين الأمم ويستتب !!

ولايفوت البابا أن يوضح لمن قد يراوده الشك فى إمكانية تنفيذ هـذا الكـلام: "إن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسـئولين عـن مختلف المحافل الدولية أو الانضمام إليهم بمحاورتهم أو إخضاعهم على الحـوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة" .

ويوضح س. ديلاكروا قائلاً: "إن الكنيسة باتت مصرة على تحديد رسالتها المعينة، وهي: غرس الإنجيل في كافة الثقافات " (الكنيسة الكاثوليكية في مواجهة العالم غير المسيحى) .

أما الأب ريمون روسينيول الذى يعلق على خطاب "رسالة الفادى" فيقول: "إنه يمكن اعتباره بمثابة نداء من البابا لتجنيد الكنيسة بأسرها لمهمة التبشير.... إننا ما زلنا نفكر في البلدان التي تمنع دخول المبشرين، إلا أن ذلك لايقف حائلا أمام الدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنيين المسيحيين" على حد قول البابا الذى "يهتم بما أطلق عليه الأشكال الجديدة للتعاون، والتى يذكر منها أربعة بصفة خاصة هى: السياحة، ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين، والحياة الدولية بما فيها السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام"، "رسالة الكنيسة" العدد (٩١) مارس (١٩٩١م) .

ومن الواضح أن مجالات السياحة ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين والدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنيين المسيحيين، إلى جانب كل ما يتضمنه مجال السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام، باتت من المنافذ التى تقوم الكنيسة باستغلالها فعلاً لممارسة عمليات التنصير بصور، أو بأساليب قد يصعب التصدى لها. ولا أدل على ذلك مما تطالعنا به الجرائد، أو الإذاعة البريطانية من وقت لآخر باكتشاف المسئولين السعوديين لبعض هؤلاء الأفراد أو لبعض الدبلوماسيين وهم يمارسون عمليات التنصير فى الأراضى السعودية، وأنه قد تم ترحيلهم على الفور .

إذا ما كانت هذه المحاولات تتم فى السنوات الماضية، فى صمت ودأب، فما لنا بما سوف يقومون به بعد أن قام البابا بالإعلان عن خطته لاحتفالات سنة ألفين ؟!

وعملية تنصير العالم أو ما يطلقون عليه "إعادة تنصيره" أو "عملية التنصير الجديدة" ليست من بنات أفكار البابا يوحنا بولس الثانى، وإنما هى أحد

القرارات الهامة التى أسفر عنها مجمع الفاتيكان المسكونى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥). وقد تم إعلان ذلك القرار آنذاك تحت عبارة **"توصيل الإنجيل لكافة البشر"**. غير أن البابا هو الذى أعلنها صراحة فى إحدى جولاته الرسولية عام (١٩٨٢م) بمدينة "شانت يقب" حيث أعلن عن **"عملية التنصير الجديدة"** و **"إعادة تنصير العالم"**. وكان يقصد بها شقين: استعادة الكتلة الشرقية من الإلحاد والحيلولة دون اعتناقها **"ديانات أخرى"** ومن ناحية أخرى، العمل على اقتلاع الإسلام حتى لا تكون هناك بدائل أخرى أمام الأتباع الذين كفروا بدينهم الذى ثبت تحريفه .

واختيار البابا لمدينة "شانت يقب" بشمال غرب اسبانيا له مغزاه الواضح، فهى تمثل آخر منطقة امتد إليها الإسلام، كما أنها أول منطقة تم الاستيلاء عليها وسقطت فى **"حرب الاسترداد"** .

ومنذ منتصف الستينات، أى عقب المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، تضافرت جهود التعصب السياسى والدينى لجعل الكرة الأرضية عبارة عن **"قرية كوكبية"** واحدة، يتم السيطرة عليها بفرض النظام العالمى السياسى الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وفرض النظام العالمى الدينى الجديد، بزعامة كاثوليكية روما. لذلك يجاهد البابا فى تحويل الديانات الأخرى من **"أعداء"** إلى **"حلفاء"** والبحث عن قاسم مشترك أعظم بينها، لتسهيل عملية امتصاصها من خلال تلك الحوارات المزعومة، والتى تؤدى فى نظره إلى حتمية التنصير .

وموضوع الاحتفال بالألفية الثالثة، من الموضوعات التى يخطط لها البابا منذ بداية مشواره البابوى، إذ تناولها فى العديد من خطبه الرسولية، بدءًا من أول خطاب ألقاه حتى الخطاب الأخير، والخاص باليوبيل نفسه، وذلك لارتباطه فى نظره بضرورة عملية تنصير العالم فى وقت محدد له مغزاه، لذلك يعتبر **"إن عام ألفين هو عام الخلاص، وعام استقبال ذلك الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم"** .

ومن المعروف أن "**إنجيل يسوع**" هذا الذى يراوغ بالحديث عنه قد أخفته أيادى التعصب العابثة منذ بداية التحريف. وإذا ما تجرأ البابا وأظهره فى وضح النهار، لانتهى كيان المسيحية الحالية التى تم اختلاقها بتعنت، وإصرار عبر المجامع على مر العصور. فالسيد المسيح عليه السلام لم يقل أبدًا إنه إله، وقد تم تأليهه فى مجمع نيقيا عام (٣٢٥م) .

إلا أن البابا يصر على تأكيد أن "**المسيح فادى العالم هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر**" (بند ٤ عشية الألفية الثالثة) لأن "**المسيح هو الله حقًا، وهو إنسان حقًا، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضًا، وهو البداية وهو النهاية**" (بند ٥). لأنه لا يتحدث إلى البشر (**باسم الله مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت، وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. أما فى المسيحيه فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة، وهنا لا يذهب الإنسان بحثا عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصيًا للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالتوصل إليه ...وبهذه الصورة، فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى**" (بند٦) .

ويؤكد البابا: أن كل أحداث القرن العشرين "**وكل ما وقع طواله يوضح أكثر من أى وقت مضى أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية**" (بند١٨) .

رابطًا بين الاحتفال بهذا اليوبيل، وبين قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى بشكل لا انفصام فيه، لأن هذا اليوبيل يأتى تتويجًا لقرارات ذلك المجمع "**الذى تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، والأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسى للتبشير بل والتبشير الجديد الذى تم إرساء قواعده فى الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس عام**

(١٩٧٥م) والمعنون "تبشير الإنجيل" الذى أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسى للأساقفة" (بند٢١). وهو أحد المجامع الخاصة بتنصير العالم! .

ثم يؤكد نيافته قائلاً :"إنه من الأمور الشديدة الإلحاح، أن يتم انعقاد مجمع كنسى بمناسبة اليوبيل الكبري، لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح الذى هو الوسيط الوحيد بين ا لله والبشر، والمخلص الوحيد للعالم، مع تمييزه تمامًا عن مؤسسى الديانات الكبرى الأخرى والتى نجد فيها رغم ذلك بعض عناصر من الحقيقة، والتى تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق، إذ ترى فيها انعكاسًا للحقيقة التى تنير كافة البشر" .(بند ٣٨). أى حقيقة المسيح التى أوضحها .

وعند حديثه عن شكل الاحتفال نفسه أكد "على أن تكون البنية الموضوعية لهذه السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن ا لله وقد تجسد بشرًا، وهو احتفال لا يمكن إلا أن يكون لاهوتيًا، أى متعلقًا بالثالوث" (بند٣٩) .

وبعد أن أوضح "أن يسوع المسيح هو المنقذ الوحيد للعالم بالأمس، واليوم، وإلى الأبد" (بند٤٠). وضرورة "العمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات، ومع الثقافات المعاصرة" (بند٤٦) وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساواة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية، ونهبها لموارد العالم الثالث، أو لأهل الجنوب أينما كانوا، يرى البابا : أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة "لحظة سانحة ليتم فيها التفكير إلى جانب أشياء أخرى (لم يفصح عنها نيافته) فى تخفيض هام، إن لم يكن فى إلغاء بالكامل للديون الدولية التى تثقل على العديد من الأمم بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة للتأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج" (بند٥١) .

أما فى البند (٥٢) فيوضح نيافته أن أهم حقلى عمل يجب توليتهما عناية خاصة هما :"المواجهة مع العلمانية والحوار مع الديانات الكبرى"

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى يجمعها فى عبارة "**أزمة الحضارة**" كما هى واضحة "**فى الغرب المتقدم تقنيًا، وإن كان أكثر افتقارًا نفسيًا لنسيانه الله أو لتهميشه إياه**" .أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان، فيرى أن تتم "**مواصلة ذلك الحوار وفقًا للتعليمات الشديدة الوضوح، التى أملاها المجمع الفاتيكانى الثانى فى بيان "زماننا هذا" حول علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية**" (بند٥٣)، متمنيًا "**إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود، والمسلمين فى أماكن لها مغزاها، بالنسبة للديانات الكبرى التوحيدية**" (بند٥٣) وهذه التعليمات "**الشديدة الوضوح**" كما رأينا لا تنص إلا على تنصير العالم مع التركيز على البلدان التى مازالت تقف فى مواجهة عمليات التنصير وأهمها المملكة العربية السعودية .

وفيما يتعلق بالاحتفال الختامى الكبير، فيرى البابا "**أن يتم ذلك فى آن واحد فى كل من الأراضى المقدسة، وفى روما، وفى كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع**" (بند٥٥). على أن تكون غاية الاحتفال هى :"**تمجيد الثالوث**" (بند٥٥). وأن يقام فى روما بهذه المناسبة "**مؤتمر عالمى لسر القربان**" (بند٥٥). أى أن يكون عام ألفين، هو العام الدولى للقربان أو "**عام الخلاص**" للعالم أجمع كما أوضحه من قبل .

وفى نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى، وهى خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسى وشرائعه، لا يسعنا إلا أن نشير إلى "**ذلك المغزى الكبير وغير المعلن**" لعام بأسره عن القربان، والذى تسبقه عملية إسقاط هامة للديون الدولية التى تثقل على كاهل العديد من الدول، إن لم يكن إسقاطًا كاملاً لها. وإنه لمن المخزى والمهين للمسلمين، وللعالم كله أن يتم إسقاط ديون العالم الثالث فى الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره، أو ثمنًا له، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القربان تدشينًا لذلك التنصير المدفوع الأجر !!!

الأمر الذى يلقى مزيدًا من الضوء على مطالبة البابا فى خطابـه الرسـولى هـذا **"بتجديد الوعد بالتزام كل فرد وكل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكانى الثـانى"**، كما يلقى مزيدًا من الضوء على ما قد تم فرضه على الكنائس المحلية: أى إن كافة المسلمين، أينما كانوا وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذى يعيشـون فيـه أم هـم أقلية فيه، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير أو إعداد للتنصير العـام، تتـم **"بصبر ودأب"** على حد قول البابا فى العديد من خطبه، وإن كانت تتم اعتمادًا على التسلل وعدم المواجهة الصريحة من ضمن ما تعتمد عليه .

و إذا ما حاولنا اختصار هذا الخطـاب الرسـولى الأخـير للبابـا، والصـادر فـى (١٤/١١/١٩٩٤م)، إلى محاوره الأساسية؛ لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية :

١- غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث، وفرض المسيحية على العالم .

٢- أحد أهم وسائله: إسقاط ديون العالم الثالث ثمنًا لتنصيره .

٣- أهم حقلى عمل تواجههما الكنيسة فى الفترة القادمة:

أ- المواجهة مع العلمانية .

ب- الحوار مع الديانات وبخاصة مع الإسلام (والحـوار فـى مفهـوم البابـا يعنى فرض الارتداد عن الإسلام والاتحاد بالمسيح) .

أى إننا لسنا أمام مجرد مخطط دقيق التضافر، متفاوت الوضوح والأحابيل، قـد صيغت أبعاده منذ عام (١٩٦٥م) فى المجمع المسكونى الثـانى، لاقتـلاع الإسـلام وتنصير المسلمين، إنما نحن فى مواجهة ذروة احتدام هذا المخطط الذى تم إعلانـه على الملأ، والذى وضع حدًا زمنيًا لتنفيذه، وثمنا ماديًا فى المقابل قد يجـذب بكـل أسف العديد، ممن أثقلت كاهلهم معاناة الفاقة والجهل.

خادم الحرمين الشريفين :

لذلك أتوجه إلى جلالتكم، بكل ما تتبوؤنه من مكانة وسلطان، وبكل ما أنعم ا لله سبحانه وتعالى به عليكم واستخلفكم فيه - فالمال مال ا لله وكلنا عابرو سبيل- إن تتدارسوا موضوع ديون العالم الثالث الإسلامى، والعمل على إسقاطها بأى صورة من الصور تروق لجلالتكم، إما إسقاطها كاملاً، أو من حيث المقابل بالإنتاج، أو العمالة، وما إلى ذلك، أو على الأقل بشرائها وبذلك تكون مديونية العالم الثالث الإسلامى لمسلمين يؤمنون با لله ولا يشركون به أحدًا، لمسلمين لا يستخدمون هذه الديون ولن يستخدموها لإجبارهم على الكفر والشرك با لله.

كما نناشد جلالتكم العمل على صون قدسية أراضى المملكة السعودية، التى أكرمها ا لله بنزول الإسلام فى رحابها وإقامة بيوته الحرام فيها، والحفاظ عليها من أية تسللات، خاصة بعد أن اصبحت مستهدفة، بصريح العبارة للإيقاع بها فى شَرَكِ عمليات التبشير والتنصير وزرع الكنائس بمختلف الضغوط .

وهنا لايسعنا إلا أن تذكر جلالتكم، بما أوحى به رسول ا لله ﷺ عند، وفاته قائلا: **"أخرجوا المشركين من جزيرة العرب". وكانت آخر وصية أوصى بها .**

ولايسع المجال أن نضيف مختلف الصياغات التى ورد بها ذلك الأمر النبوى الشريف، ومنها أنه كان قد قال: **"لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلمًا" أو "لايجتمع بجزيرة العرب دينان".** فكلها أحاديث تؤكد على ضرورة إخراج اليهود، والنصارى من جزيرة العرب والحفاظ على طهارتها كأرض مباركة لا تقبل الشرك با لله فيها.

وقد قام سيدنا عمر رضي الله عنه باجلائهم فعلا، فكيف نسمح بعد ذلك لأى فكرة تنقض مثل هذه الوصية الملزمة أو أن تدعو إلى ان نرتد عنها ؟!

كما نناشد جلالتكم التنبيه على علماء المسلمين وممثلى المؤسسات الإسلامية بمقاطعة هذا الاحتفال التنصيرى، المقام على شكل الثالوث تمجيدًا له، ذلك الثالوث الذى أدانه ا لله سبحانه وتعالى فى العديد من آيات قرآنه الكريم .

فالمشاركة ولو بالتواجد تعنى القبول ضمنًا مثلما تعنى التواطؤ صمتًا فى عمليات تحريف وشرك با لله؛ الإسلام برئ منها إلى يوم الدين، خاصة وأن البابا يعتبر المشاركة فى مثل هذه اللقاءات الجماعية، قبولاً، وانتصارًا لمسيحيته المحرفة عما أنزله ا لله عز وجل على السيد المسيح، ويقوم بفرضها بأساليب تفتقر إلى الصراحة والأمانة .

وأخيرًا وليس آخرًا، نناشد جلالتكم العمل على لم شمل الأخوة فى الإسلام، أيًا كانت نوعيات الخلافات التى فرضها الغرب المتعصب لتحقيق مآربه التى باتت معلنة بلا أية مواربة، والعمل على اتحاد المسلمين **"كالبنيان المرصوص"** ليس فى الصلوات الاحتفالية التى لايعرفها الإسلام (!!) بل ولا حتى دفاعًا عن صلات الرحم، والجوار، والإيمان الواحد، وإنما دفاعًا عن الإسلام الذى استباحوا عرضه ودمه بعد أن رفضوا الاعتراف بنبيه خاتم المرسلين ﷺ .

الحوار والتبشير

"لقاء الحضارات" من العبارات التـى تزايـد استخدامها فـى الآونـة الأخيرة بشـكل لافـت للنظـر، فهـى عبـارة متعـددة المعـانى لاشتمالها علـى العديـد مـن المجالات. وتزداد أهميتها إذا ما نظرنا إليها فى إطار المجـال الدينـى، وخاصـة فـى إطار ما يطلق عليه **"الحوار بين الديانات"** .

ولقد تزايـد اهتمـام الغـرب بقضيـة حـوار الحضـارات عنـد اكتشـافه تماسـك الانتمـاء إلى تـراث دينـى آخـر غـير المسيحية، وأهميـة هـذا الانتمـاء، بالنسـبة للأشـخاص أنفسـهم. وذلـك إلى جـانب اكتشـافه القـوة العدديـة لأتبـاع هـذه الديانات، وفعّالية الديانات الكبرى كمحرك إنسانى، وخاصـة الإسـلام، وتزايـد انتشاره رغم المد الكنسـى الوثيـق الارتبـاط بالاستعمار السياسـى والاقتصـادى، والفكرى، أو الثقافى .

ويرتبط هذا الاكتشاف فـى نظـر الغـرب بقضيـة أخـرى لا تقـل أهميـة، وإن كانت فى خط مناقض، وهى حرية العقيدة والحـق فـى الهويـة الدينيـة والثقافيـة. الأمر الذى فرض على الغرب، وعلى التيار المتعصب فيـه، أن يتدبر الموقـف فـى محاولة، للتوفيق بين التبشير بالمسيحية والاحترام الواجب لعقـائد الآخرين. وهـى مـن المسـائل الأساسـية التـى قـام المجمـع المسـكونى الفاتيكـانى الثـانى (١٩٦٥) بدراستها واتخاذ قرار لا سابقة له فـى هـذا الشـأن وهـو: توصيـل الإنجيـل لكافـة البشر!. تلك الصيغة المقتضبة التى أعلنت آنذاك، ولعل أحدًا لم يلتفت إلى حقيقـة أبعادها، إلى أن أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى صراحة عام (١٩٨٢) فـى مدينـة -شانت يقب- بشمال غرب إسبانيا، أمام ملايين الأتباع، مطالبًا بضرورة تنصير العالم !!

وأثناء انعقاد المجمع عام (١٩٦٤) قام الفاتيكان بتكوين منظمتين هما: المجلـس البابوى للحوار بين الديانات، واللجنة العليا لتنصير الشـعوب. وهاتـان المنظمتـان على اتصال دائم بالعاملين فى بعثات التبشير والحوار الدينى بالعالم أجمـع. وذلـك إلى جانب كونهما مـن أهـم الإدارات الفرعيـة والمنظمـات التـى تضمهـا الإدارة

البابوية، ومنها: سكرتارية دولة الفاتيكان، والمجالس العليا وعددها (١١)، والمحاكم، والمجالس العامة وعددها (١١) إلى جانب الإدارات الإدارية .

وقد تضافرت جهود كل هذه الإدارات لتسفر عن ذلك المجمع الفاتيكانى الثانى، الذى تمخض بدروه عن العديد من اللجان، والمنظمات، وأهمها لجنة الحوار، ولجنة تنصير الشعوب اللتان تعملان فى تلازم مستمر .

ومن أهم النصوص التى صدرت فيما يتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى نصان أساسيان، أولهما هو: الخطاب الرسولى للبابا يوحنا بولس الثانى المعنون "**رسالة الفادى**" الصادر فى ٧ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وتم إعلانه يوم ٢٢ يناير ١٩٩١م، ووثيقة "**حوار وبشارة**" المؤرخة فى ١٩ مايو، وتم الإعلان عنها يوم ٢٠ يونيو ١٩٩١م، وهى من إعداد لجنة الحوار والمجلس الأعلى لتبشير الشعوب، وتأتى على مسافة خمسة أشهر من خطاب البابا السالف الذكر .

والعلاقة الموضوعية بين الوثيقتين تكمن فى أن الخطاب الرسولى للبابا يؤكد؛ ويفرض: أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل خلاص **جميع البشر**، وهو ما معناه إخضاع جميع البشر لعملية التنصير التى طالب بها عام ١٩٨٢، أما الوثيقة التالية فتعنى اختصارًا كيفية تنفيذ عملية التنصير هذه !! .

وثيقتان تختلفان من حيث السلطة المصدرة لكل منها، لكنهما متماثلتان من حيث الروح التى تحركهما، والأسلوب غير الأمين فى تناول وجهى القضية وهما: الحوار والتبشير. فالخطاب الرسولى بحكم صدوره عن البابا وكل مايؤول إليه من سلطات، يتناول كافة الموضوعات المتعلقة بالبعثات التبشيرية ويلزمها مثلما يلزم كافة الأتباع. أما وثيقة "**حوار وبشارة**" فقد أعدتها عدة لجان مشتركة بناء على توجيهات البابا وتخص العاملين الذين لهم دور قيادى فى عمليات التبشير، ولا تتناول سوى نقطتين جوهريتين: الحوار، والتبشير .

ويقول الكاردينال أرينزى، رئيس المجلس البابوى للحوار مع الديانات: إن الإعداد لهذه الوثيقة قد بدأ منذ عام ١٩٨٦ . أى إنه قد استغرق خمس سنوات،

و إنـه قـد خضـع للبحـث الدقيـق فـى جمعيتين عموميتـين للمجلـس (١٩٨٧، ١٩٩٠). وإنه بـين هذيـن التـاريخين، قـد تم إرسـال الوثيقـة إلى كافـة المؤتمـرات الرسولية عبر العالم لتدارسها، و إبداء الرأى فيها، لذلـك أعيـدت صياغتهـا أربـع مرات، حتى تنعم بكل الملاحظات المجدية، والتى تؤدى إلى إنجاح الغرض منها .

ويضم المجلس البابوى للحوار بين الديانات ثلاثين أسقفًا، وكاردينالاً من جميع أنحاء العالم، وينعقد فى جمعية عمومية كل عامين أو ثلاثة. كمـا تقـوم هيئـة مـن المستشارين، مكونة من خمسين عضوًا، من الضالعين فى العلوم الدينية وفى كيفية إجراء الحوار، يتم التعاقد معهم لمدة خمس سنوات، بإبداء الرأى ودراسة القضايـا ليمدوا بها أعضاء المنظمتين. كمـا يقـوم هـذا الفريـق بـالربط بـين هـذا المجلـس البابوى، وكافة الكنائس المحليــة، ويمثلـون المجلـس أثنـاء انعقـاد اللقـاءات الخاصـة بالحوار .

أما اللجنة العليا لتنصير الشعوب، فمـن سلطتها تنظيـم وإدارة نشـاط اللجنـة العليا، وتعاونها مع إرساليات التبشير على الصعيد العـالمى. ويقـوم البابـا بمباشـرة "مختلف اللجان البابوية" ومنظماتها ورؤساء مختلف الدرجات الرهبانية، واللجـان والمؤسسات، والمنظمات الدنيوية المنتمية للنشاط الإرسـالى للتعـاون الصـادق مـع هذه اللجنة .

ذلك لأن هذه الإدارة هى التى تقوم بوضـع خطـة عقلانيـة للنشـاط العملـى، وهى التى تطرح المعايير التوجيهية والمبادئ التى يجب أن تتبناهـا اللجـان الخاصـة بالتبشير. أى إنه، يقع عليها القيام بدور أساسـى فـى خطـة تدبـير برامـج نشـاط الكنائس لكى تمارس عمليات التبشير بأشكالها المختلفة. الأمر الذى يجعلهـا علـى اتصال دائم بمختلـف إدارات الكرسـى الرسـولى، وكافـة الكنـائس المحليـة وفـرق المبشرين .

وكانت هذه اللجنة تسمى فيما مضى "اللجنة العليـا للدعاية". وقـد قـامت بالفعل بتنظيم النشاط التبشيرى فى مختلف بلدان العـالم. أمـا اليـوم فهـى تواصـل

نفس الدور إلى جانب تقديم المساعدات المالية للإدارات المسيحية التابعة لها، وهى (٩٢٣) دائرة كنسية تضم (٨٠٦) إدارة و ٦٥ وكالة كنيسة و ٤٨ مقاطعة كنسية .... إلخ. يقع معظمها فى إفريقيا وآسيا (مجلة رسالة الكنيسة، العدد ٩٦ ،٩٧ -١٩٩٢). وقبل تناول نص الوثيقة، لعله من المفيد أن نلقى بنظره خاطفة على المشوار التاريخى لعبارة "**الحوار**" فى المفهوم الكنسى، لنرى كيف أن معناها لم يتغير حتى وإن تغيرت الظروف أو الأسماء، فهو دائما يعنى على حد قول البابا "**فى رسالة الفادى**" : فرض الارتداد للدخول فى سر المسيح!

ومن أوائل الذين استعانوا بالحوار فى عمليات التبشير هو "الشهيد" جوستان، المولود فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى. وقد أعدمه الرومان فيما بين (١٦٣ و ١٦٧) أيام مارك أوريل. وترك العديد من المؤلفات، منها دفاعان، يناقش فيهما العقيدة المسيحية بالنسبة للعبادات والأساطير اليونانية الشديدة الانتشار آنذاك، وبحث بعنوان: "**حوار مع تريفون**"؛ وتريفون هذا يهودى يقوم جوستان بشرح التحالف القديم له على ضوء التحالف الجديد فى مفهوم المسيحية .

ومن أهم الشخصيات التى اهتمت بالحوار أيضًا كليمون السكندرى، المولود فى منتصف القرن الثانى الميلادى. وله العديد من المؤلفات ومنها "**الثلاثية**" التى توجه بها إلى مختلف وثنيى الإسكندرية، و "**النسجيات**" وهى مكونة من ثمانية أجزاء، والتى يشرح فيها عبر الحوار مع العديد من الفلسفات اليونانية، والبوذية، والهندية؛ كيف أن المسيحية هى التى تمثل الحقيقة فى نظره. وقد توفى عام ٢١٥م .

أما ريمون لول من جزيرة مايوركا، فقد ولد عام ١٢٣٢ أو ١٢٣٥ وكان يدعى "**الرجل الخرافة**" ويقدم نفسه على أنه مسيحى عربى. ومن أهم إنجازاته إدخال دراسة اللغة العربية والعبرية فى الجامعات الكبرى بقرار من مجمع فيينا

(١٣١١-١٣١٢) وكان واسع الاطلاع على الإسلام . ومن أشهر مؤلفاته: **"كتاب الوثنى والعلماء الثلاثة"** . وكتاب **"أسماء الله المائة"** **"وحوار ريمون المسيحى مع حمار العربى"** .

ويراجع أول مؤتمر للحوار إلى عام ١٥٢٤، وقد أقيم فى المكسيك عقب عدة لقاءات بين أهم اثنى عشر مبشرًا من القساوسة الفرنسيسكان، وبين زعماء ورجال دين من الهنود وقام الفرنسيسكان بعرض العقيدة المسيحية، وبدأ هنود المكسيك بالرفض، ثم المقاومة والاحتجاج ثم انتهى بهم الأمر إلى تقبل قرارات المؤتمر! ولا توضح الوثيقة كيف تم هذا التغيير فى الموقف.

أما الأسقف لويس لانو (١٦٣٧-١٦٩٦) النائب الرسولى، فيعد أول من قام بالحوار مع البوذيين. وترك العديد من الكتيبات، الخاصة بالحوار مع رجال الدين البوذى السيامى، أو مع الفلاحين .

وإن كانت تلك الشذرات تمثل نظرة خاطفة حول "الحوار" فى مسيرته التبشيرية قديمًا، فإن المشوار الحديث لهذه العبارة يرجع إلى تاريخ إنشاء **"إدارة الحوار"** أثناء انعقاد المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) وبالتحديد فى ٦ أغسطس ١٩٦٤. ولم تكن الفقرة الخاصة بالحوار مع غير المسيحيين فى الوثيقة المسماة **"نور الأمم"** سوى بداية المشوار الجديد. تمخض المجمع عن العديد من الوثائق المتعلقة بالحوار، أهمها بيان **"علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية"** (٢٨ أكتوبر ١٩٦٥) ووثيقة **"الكنيسة فى عالم هذا العصر"** (٧ديسمبر ١٩٦٥). والبيان الخاص بالنشاط الإرسالى للكنيسة (٧ ديسمبر ١٩٦٥) والبيان الخاص **"بحرية العقيدة"** الصادر فى نفس التاريخ أيضًا .

وتمثل الوثيقة الأولى نقطة تحول فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، إذ إنها أول مرة تقوم فيها ببحث العلاقات مع الديانات الأخرى بهذه الصورة الرسمية الموسعة. ويقول الأب بييترو روسانو، أحد أهم محركى هذا النشاط، إن وثيقة "الحوار" هذه، قد أثارت ما يمكن تشبيهه بانهيار سد عظيم! ومنذ ذلك الوقت

بالفعل تدفقت الإرساليات التبشيرية، كالطوفان الجارف على كل من أفريقيا وآسيا، وتدفقت معها المؤتمرات الهامة لقيادة وتوجيه ذلك الفيض الغامر، ومنها مؤتمر تنجلور بالهند عام (١٩٦٩) وسينودس أساقفة روما (١٩٧٤) المنعقد بالهند؛ ومؤتمر الأساقفة الكاثوليك المنبثق عن لجنة الحوار، عام (١٩٧٧). وقد تم طبع أعمال وبحوث هذا المؤتمر فى مجلد بعنوان :"**توجيهات من أجل الحوار الدينى**" وهو خلاف الكتاب الذى أصدره الفاتيكان تحت نفس العنوان فى ١٩٦٩/٦/١٥ .

ويصعب حصر كل الاجتماعات والندوات التى أقيمت منذ ذلك الوقت تحت نفس الحوار، من أجل نفس الهدف؛ وهو: الحوار من أجل التنصير .

أما فى اللجان المتعلقة بأفريقيا، فأهم ما أصدره المؤتمر الرسولى لأساقفة شمال أفريقيا عام (١٩٧٩) هو الكتاب المعنون: "**معنى لقاءاتنا**" والذى يبدو فيه كيف أن مهمة الكنيسة لا تقتصر فحسب على عملية التبشير! .

وفى نفس ذلك العام قام البابا يوحنا بولس الثانى بإصدار أول خطاب رسولى له بعنوان: "**مخلص البشر**" الذى أعرب فيه عن أولى وجهات نظره حول الديانات غير المسيحية، وتحديده العلاقة التى أقامها بين فداء المسيح وكل إنسان على وجه الأرض بلا أى استثناء (البند رقم ١٤ من الوثيقة) وهى غير "**رسالة الفادى**" الصادرة فى ديسمبر (١٩٩٠) .

وفى نفس ذلك العام أيضًا ١٩٧٩ قام مجلس الكنائس العالمى بإصدار وثيقة حول الحوار. فمنذ عام ١٩٧١ كان مجلس الكنائس العالمى قد أنشأ قسمًا جديدًا داخل لجنة "**الإرساليات والتبشير**" لجنة فرعية تحت مسمى "**الحوار مع العقائد الحية والأيديولوجيات**". كما قامت نفس هذه اللجنة بطبع كتاب بعنوان "**توجيهات من أجل الحوار**" وفى عام ١٩٨٢ أصدرت نشرة بعنوان: "**الإرسالية والتبشير تأكيد عالمى**" .

ويأتى بعد ذلك النص الذى نحن بصدده فى هذا البحث وعنوانه المختصر **"الحوار والتبشير"** الصادر عام ١٩٨٤، أما عنوانه الأصلى فهو: **"موقف الكنيسة الكاثوليكية حيال مؤمنى االديانات الأخرى"** .

ومن الملاحظ خلال هذا العرض: أنه لم يعد المختصون يتحدثون مستخدمين عبارة **"غير المسيحيين"** وإنما قد بدأوا يستخدمون بدلا عنها عبارة **"مؤمنو الديانات الأخرى"!** وذلك كنوع من التقارب بدلاً من الهجوم والسباب .

وفى يونيو ١٩٨٨ وقع تغيير جذرى فى الإدارة البابوية، فكل ما كان يطلق عليه عبارة **"سَكرتارية"** تحول إلى **"مجلسٍ بابوى"** وبذلك تحول اسم **"السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين"** إلى **"المجلس البابوى للحوار بين الديانات"!** ولعل هذا التغيير فى حد ذاته يغنى عن أى تعليق فى توضيح أهمية **"الحوار"** ومعناه بالنسبة للكرسى الرسولى، ولكل ما تتبعه من مؤسسات خاضعة لسلطان البابا ومخططاته.

تتكون وثيقة **"حوار وبشارة"** من تسع وثمانين بندًا، وهى مقسمة إلى مقدمة (١٣بندًا)، وثلاثة أجزاء (٧٣بندًا)، وخاتمة (٣بنود). الجزء الأول فيها بعنوان **"الحوار بين الأديان"** (١٤-٥٤). والثانى بعنوان **"التبشير بيسوع المسيح"** (٥٥-٧٦). والثالث بعنوان **"الحوار بين الأديان والتبشير"** (٧٧-٨٦). أما الخاتمة فمتضمنة آخر ثلاثة بنود (٨٧-٨٩) .

وقد صدرت هذه الوثيقة فى ذكرى مرور خمسة وعشرين عامًا على صدور وثيقة مجمع الفاتيكان المعنونة **"زماننا هذا"** حول علاقات الكنيسة مع الديانات الأخرى، والتى توضح أهمية الحوار بين الديانات فى هذه العلاقة القائمة على ازدواجية رهيبة بين القول والتنفيذ، إذ إنها تنص فى نفس الوقت على ضرورة التزام الكنيسة بالتبشير بلا هوادة بيسوع، فهو الطريق والحقيقة والحياة لكل البشر !. أى إن الحوار والبشارة يمثلان وجهى عملة واحدة هى رسالة الكنيسة التبشيرية. وهى مقدمة من اللجنتين المسئولتين عن إعدادها كبرنامج ومنهج عمل للكنيسة العالمية. أى لكافة الكنائس المحلية .

وتوضح الفقرة الرابعة من المقدمة "**إن سرعة وسائل الاتصال، وتحرك الشعوب، وتداخلها أوجد نوعًا من الوعى الجديد بالتعددية الدينية فالديانات الأخرى لم تعد تكتفى بالتواجد ببساطة، أو ببقائها صامدة، بل فى بعض الأحيان تعرب عن صحوة جديدة، فما زالت تلهم وتؤثر على حياة الملايين من أتباعها، ففى الإطار الحالى للتعددية الدينية لم يعد من الممكن تناسى الدور الهام الذى تلعبه التقاليد الدينية**" .

ويوضح القسم الثانى من البند الرابع نفسه: إن عملية ممارسة الحوار والتبشير مازالت تتعثر وتتردد فى بعض المناطق، لأن ذلك يرجع إلى أهمية عدد الجالية المسيحية، وإلى هوية التقاليد الدينية القائمة وإلى العديد من العوامل الأخرى الثقافية والاجتماعية والسياسية .

بينما يشير البند السابع من هذه المقدمة: إلى أن هذه الوثيقة مقدمة لأتباع الكاثوليكية، ولبقية أتباع الكنائس الأخرى لتوحيد الجهود. لذلك تنتهى المقدمة بتوضيح دلالة بعض العبارات الأساسية التى ترد طوال النص وهى :

١- التبشير: وهى عبارة لها أكثر من معنى، ومنها: "**توصيل النبأ السعيد إلى الإنسانية جمعاء، وتغيير أعماق الإنسان بواسطتها**"؟ وقيام الكنيسة بفرض "**الارتداد بواسطة الطاقة الإلهية للرسالة التى تبلغها للأفراد والجماعات، والنشاطات التى ينتمون إليها وطريقة حياتهم والأوساط المحددة التى يعيشون فيها**" و "التبشير صراحة وبوضوح وبلا مواربة بيسوع المسيح" .

٢- الحوار: تتسم هذه العبارة بعدة معان أيضًا، أولاً: من الناحية الإنسانية تعنى؛ الاتصال المتبادل بغية تحقيق هدف معين، كما تشير إلى اتخاذ موقف محدد من الاحترام والصداقة الذى يجب أن يتسم به كافة نشاطات إرسالية التبشير؛ أى ما يسمى بروح الحوار. أما المعنى الثالث فهو " **مجمل العلاقات بين الأديان، الإيجابية والبناءة، مع أفراد وجماعات العقائد المختلفة بغية مزيد من التعارف والإثراء مع الطاعة الكاملة للحقيقة واحترام حرية كل فرد**" .

٣- البشارة: تعنى توصيل الرسالة التبشيرية وسر الخلاص الـذى حققـه ا لله للجميع فى يسوع المسيح بقوة الروح القدس. إنها دعوة للانتماء العقدى بيسوع المسيح، دعوة للدخول فى جماعة الكنيسة عن طريق التعميد. ويمكن القيام بذلـك على الملأ، ويمكن أن يتمر سرا فى صيغة حوارات خاصـة ..... إن البشـارة هـى أساس ومركز وقمة التبشير" .

٤- الارتداد: "إن فكرة الارتداد تتضمن دائما اتـجاه الإنسـان بالكـامل إلى ا لله. ومن ناحية ثانية، تعنـى عبـارة الارتـداد تغيـير الانتمـاء الدينـى وخاصـة الدخول فى المسيحية" .

٥- أديان وتقاليد دينية: تستخدم هذه العبارات فـى الوثيقـة بمعنـى: جنـس، وبمعنى: قياس. وهى تشتمل على الديانات **"التى يروق لها الانتساب إلى عقيـدة إبراهيم وكذلك التقاليد الدينية الكبرى لآسيا وإفريقيا وبقية العالم" .**

وتنص الفقرة الأخيرة من المقدمة على أن الحوار بين الديانات، يجـب أن يمتـد إلى كافة الديانات وكل أتباعها .

يتكون الجزء الأول من الوثيقة من خمس نقاط هـى: تنـاول مسـيحى للتقـاليد الدينية. موضع الحوار بين الديانات فى الرسالة التبشيرية للكنيسة. أشكال الحوار. أحكام وثمار الحوار بين الديانات. عقبات أمام الحوار .

وتوضح النقطة الأولى، كيفية تناول التعامل مع الديانـات غـير المسيحية، وإن ذلك يتطلب معرفة نظرية واسعة بها، وإنه لابد من الالتزام باحترامها لمـا تتضمنـه من بعض القيم الروحية والانسانية. وكيف أن المجمع الفاتيكانى الثانى قد أوضـح وأكد أن يسوع - المسيح هو حقيقة متاحة لكل فرد حسـن النيـة، إذ إنـه يعمـل سرًا فى أعمق أعمـاقهم على خلاصهـم وإدخـالهم فـى سـر الفصـح. وإن هـذه الحقيقة موجودة فى تلك الديانات الأخـرى كبصيـص لابـد مـن الاستعانة بـه. ومن أجل ذلك فإن الكنيسة ترى نفسها مدفوعة للدخول فى حوار للتعـاون مـع أتبـاع الديانـات الأخـرى، وحثهـم علـى التطـور مـن خــلال القيـم الروحيـة،

والأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية، التى يتبعونها حتى تصل بهم إلى الدخول فى سر المسيح. إذ إنه يقع على عاتق الكنيسة تنقية كل بذور العناصر الموجودة مما بها من شوائب سيئة ودفعها للمسيح .

ويستند واضعوا هذه الوثيقة: إلى أن الله قد تحالف مع كافة الشعوب وفقًا لما هو وارد فى العهد القديم (سفر التكوين ١-١١) وأن ذلك يؤكد أنه لايوجد سوى طريق خلاص واحد أمام البشرية. لأن يسوع المسيح هو الذى تمثلت فيه رسالة التوحيد الأزلية بصورة جديدة ونهائية لجميع الشعوب .

بل تتمادى الوثيقة فى توضيح كيف أن يسوع تعامل مع غير اليهود وبدأ الحوار معهم، ومنهم السامرية التى حدثها عن ذلك اليوم الذى لم تكن فيه العبادة محدودة بمكان ما (يوحنا ٢٣/٤) وأن المعبد الجديد هو **"جسد يسوع الذى بعثه الأب بقوة الروح"! وأن ذلك يعنى أن ملكوت الرب قد غزا العالم بشخص يسوع. أى أن الحوار مع الديانات الأخرى ليس نزوة من نزوات الكنيسة الحالية وإنما هى رسالة مبلغة من الأب، ليتم تطبيقها على كافة الأمم"** بما أن يسوع يعلن صراحة، أنه الملك (يوحنا ١٨/٣٣-٣٧) .

وتتناول البنود من (٢٣ إلى٢٥) ما قد يبدو تناقضا لغير العارفين بنصوص العهد الجديد، سواء فى اقوال بولس الرسول فى خطابه إلى أهل رومية وموقفه مع أهل ليكأونية، إلا أن ذلك فى نظر واضعى الوثيقة يثبت أن ذلك يعنى تطبيق الحكمة الإلهية التى وضعها الرب فى يسوع. بل إنهم يزيدون من مزاعهم ليرون أن ذلك يؤكد أن المسيحية موجودة قبل وجود الجنس البشرى.

وذلك هو ما حاول المجمع الفاتيكانى عمله بربط الرؤية المسيحية للتاريخ عبر أعمال الآباء. وكيف تمادى البابا يوحنا بولس الثانى وتخطى رؤية المجمع هذا ليؤكد أن فعالية المسيحية بفضل الروح القدس موجودة فى كافة الديانات الأخرى، موضحا أن **"صلابة إيمانهم هى دليل على روح القدس وتاثيره عليهم بعيدا عن حدود الجسد السرى"** .

وقد تناول البابا نفس التأكيد فى خطابه الذى أعلنه فى تلك الصلاة الجماعية فى بلدة أسيز (ديسمبر ١٩٨٦) التى دعى إليها ممثلين من كافة الديانات التوحيدية وغيرها، مؤكدا على "أن الروح القدس هو محرك كل صلاة صادقة، وأنه موجود فى كل إنسان، سواء أكان مسيحيا أم لا " .

ويبرر البابا قوله استنادا إلى أن الإنسانية بأسرها تكون أسرة واحدة، من أصل واحد، إذ إن الله **"قد خلق كل الرجال والنساء على صورته، وبذلك فإن مصير الجميع واحد، فلا يوجد سوى خطة خلاص واحدة متمركزة فى يسوع المسيح الذى قد توحد بتجسده بكل إنسان"** بلا استثناء وأيا كانت عقيدته الدينية! وأن أية ممارسة دينية تتضمن تواجد يسوع المسيح فى الأتباع الذين لا يعترفون به بعد على أنه منقذهم الوحيد .

وينص البند ٣١ من هذا الجزء الأول على التأكيد بأن الديانات الأخرى تتضمن بعض "عناصر الرحمة" لا يعنى أن كل شئ بها من ثمار الرحمة، فالخطيئة موجودة فى صورة الشر، وهذه الديانات الأخرى - رغم ما بها من قيم إيجابية- هى انعكاس لمحدودية الفكر الإنسانى الذى يميل إلى اختيار الشر. والتعامل مع الديانات الأخرى لا يعنى أن يغمض المسيحى عينه على ما بها من تناقضات تفصل بينها وبين المسيحية، وذلك يعنى أنه مع الدخول فى حوار -بفكر مفتوح- مع أعضاء الديانات الأخرى يجب على المسيحيين إقناعهم بصورة سليمة بالتأمل فى فحوى ومتناقضات عقائدهم، وعلى المسيحيين أن يتقبلوا أن توجه إليهم الاتهامات" .

وتشير ملحوظة تفسيرية حول هذا البند إلى تناول هذه النقطة الحساسة التى تتطلب أن يقوم أتباع الديانات الأخرى بالارتداد عن دينهم واعتناقهم المسيحية لذلك **"يتعين على المسيحيين أن يساعدوا مؤمنى العقائد الأخرى على التطهر من تراثهم الدينى لتقبل عملية الارتداد"** .

أما النقطة الثانية من هذا الجزء الأول التى تتناول موقع الحوار بين الديانات فى الرسالة التبشيرية للكنيسة: فتؤكد على أن الله هو الذى أراد إقامة الكنيسة بيسوع فى اكتمال الزمان كعلامة وخطة إلهية للخلاص. لذلك تعد الكنيسة سرًا من أسرار الله، وأنها **"السر العالمى للخلاص"** فهى تمثل بداية الملكوت ونبتته وبذلك فالملكوت جزء لايتجزأ من الكنيسة لأن الاثنين لا ينفصلان فى شخص يسوع المسيح وعمله.

وينص البند ٣٥ على أن **"أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول فى الكنيسة، بمعنى أنها تمثل السر الذى يوجد فيه ملكوت الله"** وبقدر استجابتهم لنداء الرب يقوم يسوع المسيح بإنقاذهم. أى **"إن رسالة الكنيسة هى تنمية ملكوت الرب ومسيحه، إذ إنها أقيمت لخدمته"** .

أما فيما يتعلق بالكشف الإلهى فتقول الوثيقة: "إنه يتجلى فى المسيح الذى هو فى آن واحد وسيط واكتمال أى تنزيل". وبذلك فإن الكنيسة دائمة السعى إلى الكمال فى الحقيقة إلى أن تتم كلمات الله، وذلك لايتعارض مع المؤسسة الإلهية للكنيسة ولا مع اكتمال التنزيل الإلهى فى يسوع المسيح .

ومن هذا المنطلق يصبح من السهل رؤية لماذا يمثل الحوار بين الديانات عنصرا لايتجزأ من الرسالة التبشيرية للكنيسة. والسبب الأساسى لالتزام الكنيسة بالحوار ليس من قبيل تعلقه بالإنسان فحسب، وإنما لأنه جزء من اللاهوت أيضًا. فقد دخل الرب فى حوار مع البشرية عبر العصور، ليقدم لها الخلاص، والكنيسة تواصل العمل الإلهى بدخولها فى حوار الخلاص مع الجميع .

لذلك كان البابا يوحنا بولس الثانى قد قال فى الجمعية العمومية للمجلس البابوى للحوار بين الأديان، المنعقد عام ١٩٨٤ **"إن الحوار بين الأديان أساسى بالنسبة للكنيسة التى يتعين عليها أن تتعاون فى خطة الرب بمناهج تواجدها بالاحترام والحب لكافة الناس......لأن اتباع يسوع المتجاورين فى حياتهم ونشاطاتهم مع الناس عليهم أن يقدموا لهم الدليل الحق على يسوع، وأن**

يعملوا من أجل خلاصهم حتى فى الأماكن التى يمكنهم فيها التحدث عن يسوع صراحة" وكان قبل ذلك قد أعلن **"إن الحوار يدخل فى مهمة الكنيسة من أجل الخلاص لذلك فهو حوار من أجل الخلاص"** .

ويشير البند ٤٠ إلى أن هذا الحوار الذى يتم من أجل الخلاص يدفع المسيحيين وغير المسيحيين للتعاون مع روح الرب وقد بعث عالميا من أجل الجميع ..... وعليهم الاستجابة بإخلاص متزايد للنداء الشخصى الذى يوجهه لهم الرب والذى يتم دومًا كما يقول عبر وساطة يسوع المسيح .

وهذا الهدف المحدد **"يعنى ارتداد الجميع إلى الرب وذلك هو مايعطى قيمة ذاتية للحوار" وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلى عن العقيدة الدينية السابقة والدخول فى عقيدة جديدة ......مع مراعاة قرار مجمع "فاتيكان الثانى" من أن كل إنسان عليه البحث عن الحقيقة فيما يتعلق بالرب وبالكنيسة وعندما يجدها، عليه أن يعتنقها ويخلص لها"** .

أما النقطة الثالثة: التى تتعلق بأشكال الحوار، فتوضح أنه توجد أربعة أشكال من الحوار بين الديانات وهى:

أ- حوار الحياة: حيث يتجاور الناس فى الحياة ويتقاسمون اهتماماتها، ومشاكلها .

ب- حوار الأعمال: حيث يتم التعاون، بغية التطور الكامل والتحرر الشامل للبشر .

ج - حوار التبادل العقائدى: حيث يقوم الأخصائيون بتعميق فهم ميراثهم الدينى .

د- حوار التجربة الدينية: حيث يقوم أشخاص متعمقون فى تراثهم الدينى بتقاسم ثرواتهم الدينية مع الآخرين، من قبيل الصلاة والتأمل وطرق البحث عن الرب، أو عن المطلق.

ويوضح البند ٤٣ كيف أن البابا يوحنا بولس الثانى قد ألزم كافة الكنائس المحلية بكل أعضائها وأتباعها القيام بهذا الحوار، لكن يجب ألا يقوموا به جميعًا بنفس الطريقة. على أن تساهم هذه الكنائس المحلية بصورة غير مغرضة وموضوعية، وأن تجند نفسها من أجل قضايا حقوق الإنسان، والمطالبة بالعدالة، و أن تشى بعدم العدالة؛ لا من أجل أبنائها، وإنما من أجل أتباع العقائد الأخرى، والمساهمة فى حل المشاكل الكبرى التى تواجه العالم .

أما أهم مجالات الحوار بين الأديان فى نظر واضعى هذه الوثيقة فهى: المجال الثقافى. ذلك أن مفهوم الثقافة أوسع من مفهوم الدين الذى لا يمثل سوى بعدًا تصاعديًا واحدًا. أما الثقافة وخاصة العلمانية فيمكنها أن تقوم بدور نقدى بالنسبة لبعض العناصر السلبية فى ديانة أو أخرى. والمسالة جد مركبة إذ يمكن لعدد من الديانات أن يتواجد فى مساحة ثقافية واحدة، فى حين أن الديانة الواحدة يمكنها أن تعبر عن نفسها فى العديد من المجالات الثقافية المختلفة .

لذلك لابد من حوار ذكى متيقظ، لكى يمكن التقاط القيم الثقافية التى تساعد على تفتح الإنسان فى مصيره التصاعدى. كما يمكن لبعض ملامح الثقافة المسيحية أن تدان من قبل الثقافات المحلية لديانات أخرى، وفى مثل هذه العلاقات المركبة بين الثقافة والدين فإن الحوار بين الديانات فى المستوى الثقافى يكتسب أهمية بالغة إذ عليه أن يتغلب على هذه العقبات والمصاعب بل والمواجهات والمساهمة فى تطهير هذه الثقافات من كل شوائبها غير الإنسانية .

وتتناول النقطة الرابعة من هذا الجزء الأول أحكام وثمار الحوار بين الديانات. موضحًا كيف أن مثل هذا الحوار يتطلب من الأتباع المسيحيين مواقف متزنة. فلا يجب أن يكونوا شديدى السذاجة ولا شديدى الانتقاد. وإنما أن يدخلوا فى الحوار بكل إيمانهم، ويظلوا ثابتين فيه مؤمنين بأن الحق معهم عن طريق يسوع المسيح الوسيط الوحيد بين الرب والبشر "وعلى المسيحيين أن يتذكروا أن الرب قد لاح بصورة ما لأتباع الديانات الأخرى، وبالتالى عليهم أن يتفهموا عقائد الآخرين.

لذلك يتعين على المسيحيين الحفاظ على هويتهم وأن يتعلموا كيفية تلقى القيم الإيجابية من تقاليد العقائد الأخرى. فمن خلال الحوار يمكنهم الإقناع، وهزم عقائد مسبقة متأصلة وكذلك تغيير الأفكار المسبقة .

ويوضح الهامش التفسيرى لهذه النقطة كيف أن مثل هذا الحوار ضرورى وعاجل ومثمر للجميع، وإن كان يتسم بالحساسية. لذلك لابد من الشروع فيه بحذر وصدق وتواضع !

أما النقطة الخامسة والأخيرة من هذا الجزء الأول فنشير إلى المصاعب التى يمكن أن تواجه الحوار. لذلك يتضمن البند ٥٢ سردًا بأهم هذه العقبات بالنسبة لمن يقومون بالتبشير وهى:

١- ألا يكون إيمانهم قويًا بالقدر الكافى .

٢- ألا يكونوا على دراية كافية بعقائد وممارسات الديانات الأخرى .

٣- الاختلافات، والتفاوتات الثقافية .

٤- عوامل اجتماعية سياسية، أو بعض عواقب من الماضى .

٥- فهم غير صحيح لعبارات من قبيل الارتداد، التعميد، الحوار ....إلخ .

٦- عدم التفهم الذى قد يؤدى إلى اتخاذ موقف دفاعى، أو هجومى .

٧- عدم الاقتناع بقيمة الحوار بين الديانات، أو اعتبارها مهمة قاصرة على المتخصصين.

٨- الشك فى دوافع الطرف الآخر فى الحوار .

٩- تَبَنِّى موقف جدلي نضالي .

١٠- الخلط بين عدم التسامح، والعوامل السياسية والاقتصادية والعرقية .

١١- بعض ملامح المناخ الدينى الحالى، وتزايد المادية، وعدم الاهتمام الدينى، ومضاعفة أعداد الطوائف. الأمر الذى يؤدى إلى الخلط ويخلق مشاكل جديدة .

وتؤكد الوثيقة: أن مثل هذه العقبات ناجمة عن عدم فهم حقيقة طبيعة الحوار بين الأديان، وهدفه. وأن المطلوب هو الصبر ومزيد من الصبر. لذلك تنص على أنه "**رغم كل هذه المصاعب والعقبات فإن التزام الكنيسة بالحوار ثابت ولا رجعة فيه**".

ويتكون الجزء الثانى من ثمان نقاط هى: الرسالة التى أعطاها الرب بعد بعثه. دور الكنيسة. مضمون البشارة. وجود الروح القدس وقوته. الضرورة الملحه للتبشير. أساليب التبشير. عقبات أمام التبشير البشارة فى المهمة التبشيرية للكنيسة. ترتكز النقطة الأولى حول الرسالة التى أعطاها الرب بعد بعثه لإثبات أن الرب يسوع هو الذى أرسل أتباعه للتبشير بالإنجيل عبر الأمم، استنادا إلى الآيات التالية من الإنجيل وهى: "**فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلىّ كل سلطان السماء وعلى الأرض؛ فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس .وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصتكم به، وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر**". (متى ٢٨/١٨-٢٠) "**وقال لهم اذهبوا: إلى العالم أجمع: واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن**" (مرقص١٦/١٥-١٦). "**وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدءًا من أورشليم. وأنتم شهود لذلك**" (لوقا٢٤/٤٦-٤٨) "**لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لى شهودًا فى أورشليم، وفى كل اليهودية والسامرة و إلى أقصى الأرض** " (أ .ع :١/٨) "**كما أرسلنى إلى العالم، أرسلتهم أنا إلى العالم**" (يوحنا ١٧/١٨) "**كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا**" (يوحنا٢٠/٢١) .

ويخرج واضعو الوثيقة من هذه الآيات بتأكيد أن مهمة الكنيسة هى التبشير، وأن هذه هى الرسالة التى تلقتها من يسوع وهى الرسالة التى تلقاها من الآب لتحقيق ملكوت الرب الكائن فى يسوع، وفى البشر حتى وإن كان مازال ينمو نحو اكتماله .

أما دور الكنيسة الذى يمثل النقطة الثانية فينص البند ٥٨ على أن دورها إرسالى وأن"**مهمة الكنيسة هى إعلان ملكوت الرب القائم على الأرض فى يسوع – المسيح بحياته ووفاته وبعثه كهبة حاسمة وعالمية للخلاص الذى يعمله الرب للعالم أجمع**" أى إنه لايوجد تبشير حقيقى، إن لم يتم الإعلان عن اسم وتعاليم وحياة ووعود وحكم وسر يسوع الناصرى ابن الآب، فالكنيسة هى نبتة الملكوت وبدايته .

وتوضح النقطة الثالثة مضمون البشارة، وهو ما أعلنه بطرس عن بعث المسيح فى عيد العنصرة، وأنه فى ذلك اليوم "**كان يهود، رجالا أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم**" (أ.ع٢/٥) موضحًا أن أسماء الأمم الواردة فى نصوص أعمال الرسل تؤكد عالمية الرسالة واختتم كلامه قائلاً: "فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا" (أ.ع٢/٣٦) .

وتستشهد الوثيقة بمختلف الآيات فى محاولة، لإثبات عالمية رسالة يسوع، وكيف أنه بينما كان بطرس يتكلم بهذه الأمور "حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة" لدرجة أن الذين كانوا فى صحبة بطرس دهشوا "**لأن موهبة الروح القدس قد اسكبت على الأمم أيضًا**" (أ.ع١٠/٤٤،٤٥). وكيف أن بولس، المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله (إلى أهل رومية ١/١٠٢) قد تقبل "**نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم رسالة بولس إلى أهل رومية ١/٥) يكرز بالمسيح مصلوبا**" لليهود عثرة ولليونانيين جهالة (الرسالة إلى أهل كورنثوس ١/٢٣). وتتلخص كل رسالة بولس فى العبارة التالية إلى أهل أفسس قائلا: "**لى أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يتسنفصنى، و أنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماوات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا**" (٣/٨-١١). وذلك لأن الله "يريد

أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين ا لله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢/٤-٦) .

أما فيما يتعلق بالنقطة الرابعة التى تتناول تواجد الروح القدس وقوته، فتستند إلى خطاب رسولى للبابا بولس السادس كان قد أصدره عام ١٩٧٥ عقب مجمع الأساقفة لتبشير العالم الحديث المنعقد عام ١٩٧٤ .

بينما تعتمد النقطة التى تتناول الضرورة الملحة للتبشير فتعتمد على نفس وثيقة البابا بولس السادس حول **"تبشير الإنجيل"** قائلا: **"إن تقديم الرسالة التبشيرية ليست مساهمة اختيارية بالنسبة للكنيسة، إنه الواجب الذى يقع عليها بأمر الرب يسوع حتى يمكن للبشر أن يؤمنوا وينقذوا. نعم هذه الرسالة ضرورية. إنها فريدة. ولا يمكن استبدالها. ولا تتقبل أية لا مبالاة، ولا اية تلفيقية، ولا أى مواءمة. إنها متعلقة بخلاص البشر"** (الفقرة ٥). أما الإلحاح على الإسراع فى التبشير، فيستند إلى نفس وثيقة البابا هذه و إلى الرسالة الأولى لبولس إلى أهل رومية قائلا: **"فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز ؟ ....وهكذا يولد الإيمان بالتبشير والتبشير يتم بكلمة يسوع"** (١٠/١٤ ومابعدها) .

أما البند ٦٧ الذى تنص الوثيقة من خلاله على التبشير بالخلاص فى يسوع فهو مأخوذ من وثيقة **"إلى الأمم"** وهو القرارا الذى أصدره مجمع الفاتيكان الثانى حول النشاط الإرسالى للكنيسة الصادر فى ١٩٦٥/١٢/٧ ويقول هذا الجزء من القرارا الفاتيكانى: "أينما فتح ا لله مجالا حرًا للتبشير لإعلان سر المسيح، يجب تبشير الناس بتأكيد ومثابرة با لله الحى وبمن أرسله لخلاص الجميع، يسوع المسيح، لكى يؤمن غير المسيحيين بعد أن يكون الروح القدس قد فتح قلبهم فيرتدوا طواعية إلى الرب ويتعلقوا به بإخلاص بما أنه **"الطريق، الحقيقة، والحياة"** (يوحنا ٦/١٤) الذى يغطى كل تطلعاتهم الروحية، بل يتعداها بصورة لا نهائية.

أما أساليب التبشير فإن الكنيسة تتبع فيه "**العلم التربوى الإلهى**" أى إنها تتبع خطى مدرسة يسوع نفسه. فقد أعلن لسامعيه عن ملكوت الرب تدريجيًا، وبعناية فائقة، لذلك سيكون تبشير الكنيسة تدريجيًا وبصبر فى آن واحد، متخذين هيئة الذين يسمعون الرسالة ، محترمين حريتهم، بل وبطئهم فى الإيمان" ! فيجب أن يكون التبشير مؤكدًا مدعمًا بقوة الرب. مخلصًا فى نقل تعاليم يسوع المحفوظة فى الكنيسة، على أن يتم ذلك بتواضع وباحترام لتواجد فعل روح الله فى قلوب الذين يسمعون، ومن خلال الحوار، فهو الذى سيحرك البذور الكامنة فى قلب المستمع وتدفعه إلى الدخول فى سر الخلاص الكامل بيسوع وذلك بغرس البشارة فى ثقافة المستمعين، وفى تراثهم الدينى وكذلك فى الأرضية الثقافية لأى منطقة، بل والعمل على إدخال هذه الثقافات فى حياة الكنيسة، حتى تصبح البشارة هى الرد المقنع لكل تطلعاتهم الدفينة، أى إنها تكون النبأ السعيد الذى ينتظرونه فعلاً .

أما النقطة السابعة، التى تتحدث عن العقبات التى تواجه التبشير فتنقسم إلى جزئين: جزء خاص بعقبات توجد لدى المسيحيين، أى عقبات داخلية، وعقبات لدى الجماعة غير المسيحية، أى عقبات خارجية .

وتتلخص العقبات الداخلية، فى عدم توافق أقوال من يقوم بالتبشير بأفعاله، أو إغفاله القيام بالتبشير إهمالاً، أو خجلاً منه، أو من أفكار خاطئة فى ذهنه، ومن عدم تقدير المسيحى واحترامه لعقائد الآخرين، أو اتسامه بالتعالى فى المجال الثقافى، الأمر الذى قد يفهم منه أن المسيحية قاصرة على ثقافة بعينها .

أما العقبات الخارجية فهى، رسوخ الميراث التاريخى إذ إن محاولات المبشرين السابقة، قد تركت آثارًا سيئة لدى أتباع الديانات الأخرى ؛ خشية اتباع الديانات الأخرى من أن يؤدى التبشير إلى ضياع دينهم وثقافتهم ؛ مفهوم مغاير لحقوق الإنسان والذى قد يؤدى إلى المساس بحرية العقيدة ؛ الاضطهاد قد يجعل التبشير مستحيلاً ؛ توحد دين معين بالثقافة القومية أو بنسق سياسى معين يؤدى

إلى مناخ غير مواتى ؛ بعض القوانين التى تحرم الارتداد أو المصاعب التى يلقاها من تم تنصيرهم ؛ الخطورة الناجمة عن مناخ الديانات والذى يؤدى إلى اللامبالاة والنسبية والتلفيقية. وينتهى هذا الجزء الثانى من الوثيقة بالبشارة فى المهمة التبشيرية للكنيسة بتوضيح الفرق الجوهرى فى مفهوم التبشير الذى كان البعض قديمًا يتصور أنه بجرد الدعوة لاعتناق المسيحية. بجرد دعوة. أما الآن وبعد المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٥) فقد تغير المعنى إذ أصبح التبشير عملية إلزامية للجميع، والتنصير عملية مفروضة على العالم أجمع: "**التبشير سيعتبر دائمًا كأساس ومركز وقمة للإعلان بوضوح وحيوية أن يسوع المسيح ابن الله الذى تجسد إنسانًا، ومات وبعث يقدم الخلاص لكل الناس هبة ورحمة من الله**" وقد تمت صياغة وثيقة المجلس البابوى للحوار بين الأديان عام ١٩٨٤ إستنادًا إلى هذا المعنى أيضًا، وأنه يمثل جزءًا لايتجزأ من مختلف العناصر المكونة للرسالة التبشيرية الكنسية .

لذلك تعتبر الوثيقة مهمة التبشير ودعوة كافة البشر للدخول فى سر المسيح، وأن يصبحوا أتباعًا للكنيسة، مهمة مقدسة ولا يمكن للكنيسة ان تتخلى عنها أو تهمل فيها. وينتهى البند ٧٦ وهو آخر بنود الجزء الثانى بما يلى: "**من الواضح إذن: أنه فى المواقف التى يصبح فيها التبشير مستحيلاً لأسباب سياسية أو غيرها، فإن الكنيسة تقوم بالفعل بمهمتها هذه، لا من خلال تواجدها فحسب، وإنما من خلال نشاطاتها مثال اهتمامها بالتطور الإنسانى الكامل والحوار نفسه. ومن ناحية أخرى، ففى المواقف التى يمكن للناس أن يستمعوا فيها إلى رسالة الإنجيل ويستجيبوا لها، فإنه من واجب الكنيسة أن تذهب للقاء تطلعاتهم**" .

أما الجزء الثالث والأخير من هذه الوثيقة فيجمع بين الجزئين السابقين، أى الحوار بين الديانات والتبشير، وهو يتكون من خمسة نقاط مقتضبة توضح كيف أن هذين المجالين من العناصر الأساسية لرسالة الكنيسة التبشيرية وهما شرعيان وضروريان ومن المهام المميزة للكنيسة المحلية ولكل فرد، على أن تتم ممارستها

"وفقا للظروف المحلية لكل كنيسة ولكل مسيحى" "**كما أنها تتضمن دائمًا انتباه ما للأبعاد السياسية والثقافية والدينية للموقف .....الأمر الذى يتطلب تمييزا مبنى على الصلاة والتأمل اللاهوتى حول معنى مختلف التراثات الدينية وفقًا لخطة الرب**" .

لذلك تدعو الوثيقة وتشجع "**كل المؤسسات وكل الحركات ذات الطابع الدينى أن تلتقى، وأن تتعاون وتتطهر حتى يمكنها نشر الحقيقة والحياة، القداسة والعدل، الحب والسلام، وهى أبعاد ذلك الملكوت الذى سيقوم المسيح بتقديمه للآب فى آخر الزمان**" .

وذلك يعنى "أن يتم الحوار والبشارة، التى تهدف إلى توجيه البشر لاعتراف ضمنى بما فعله الرب للجميع، رجالاً ونساءًا فى يسوع المسيح ودعوتهم، ليصبحوا أتباعًا ليسوع بأن يصبحوا أعضاء فى الكنيسة" .

وينص البند ٨٢ مرة أخرى على "**أن جميع المسيحيين يقع عليهم، أن يكون كل شخص فيهم متورطًا فى هاتين الطريقتين لإتمام الرسالة الوحيدة الكنسية، وهما: البشارة والحوار**" ومن أجل ذلك يتعين "**على المسيحيين أن يعمقوا إيمانهم ويطهروا مواقفهم، ويوضحوا لغتهم وأن يمارسوا عبادتهم بصدق متزايد**" .

و إذا ماطالعنا كافة العناوين الفرعية لهذا الجزء الثالث والأخير وقرأناها تباعا سنجد نفس الرسالة المبلغة عبرا الوثيقة، وهى :"**رسالة الكنيسة، يجب أن تكون حذرة لمختلف الظروف، لأن رسالتها تمتد إلى الجميع، من خلال الحوار ، والبشارة، كوسيلتين، لإتمام نفس الرسالة، فالحب يتطلب المشاركة، تحت قيادة الروح القدس، ووفقا لمثال يسوع، الذى ضحى بنفسه من أجل الإنسانية بأسرها**" .

وهنا لابد من إشارة عابرة حول نشأة كيان الكنيسة برمتها و أن يسوع هو الذى قال "طوبى لك ياسمعان بن يونا (وسمعان هو بطرس كما يبدو من الآية السابقة).

إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكن أبى الذى فى السماوات. وأنا أقول لك، أيضًـا: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى و أبواب الجحيم لن تقـوى عليهـا (متى ١٦/١٧-١٨) .

ولا يسعنا إلا أن نـورد الآيـة الأخـرى التـى تـرد بـإنجيل مرقـس، إذ يقـول: **"فانتهر بطرس قائلا: اذهـب عنـى ياشيطان لأنـك لا تهتـم بمـا لله ولكـن بمـا للناس"** (٨/٣٣). وهذا التناقض حول شخصية (سمعان - بطرس) الذى يقـول عنه أحد الأناجيل: إنه الصخرة التى بنى عليها يسوع كنيسته، بينما يصفه إنجيـل آخر بأنه شيطان وينهره يسوع لأنه لايهتم بما لله، ليس إلا نموذجًا من مئات بـل من آلاف المتناقضات التى يذخر بها الإنجيل بعهديه، والذى ما زال البابـا يوحنـا بولس الثانى يصر فى كل خطبه الرسولية وفى كتاب التعليم الدينى الجديد الـذى أصدره عام ١٩٩٢ على أنها نصوص **"منزلة"** ويحاول فرضها على العالم أجمع!!.

أما الخاتمة فهى عبارة عن صفحة واحدة مكونة من ثلاثة بنود، تبـدأ بتوضيـح أن الديانات المختلفة تختلف فيما بينها. لذلـك لابد مـن الاهتمـام بطرق مختلفـة باتباع كل دين على حدة، لذلك لابد من القيام بدراسات معينة، مع مراعاة كل دين فى إطار مجاله الجغرافى المحدد، ومضمونه الاجتماعى الثقافى، ويمكـن إسـناد هذه الدراسات إلى اللجان المختصة وإلى المعاهد اللاهوتية والرعوية .

إن الحوار والبشارة مهام صعبة لكنها صارت ضـرورة مطلقـة. لذلـك **"يتعين على كافة المسيحيين الاستعداد بشكل أفضل لتحقيق هذا الانتماء المزدوج... وألا يكف الجميع عن الصلاة ليساعدهم الروح القدس وأن يكون الملهـم الحاسم لنجاح مخططاتهم ومبادراتهم ونشاطهم التبشيرى"** .

عيد العنصرة (١٩ مايو ١٩٩١م) .

توقيع: فرانسيس كاردينال أرينزى، رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان؛ جوزيف: كاردينال تومكو رئيس اللجنة العليا لتنصير الشعوب .

إن نص هذه الوثيقة من الوضوح، بحيث إنها ليست بحاجة إلى أى توضيح أو حصر لنقاطها الأساسية، فالأمر لم يعد يترك أى مجال للشك، أو التخمين، أو حتى لافتراض أى بصيص من حسن النية: فتنصير العالم بات أمرا يتم تنفيذه بالفعل منذ اتخاذ هذا القرار فى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى عام ١٩٦٥ وعلى حد قول كافة الوثائق التى تتناول هذا الموضوع: إن تنصير العالم هو قرار لا رجعة فيه، ويتم فعلاً، وباستخدام كافة الكنائس المحلية، بل ويقع على عاتق كافة المسيحيين، شريطة أن يتم تدريجيا وبعناية فائقة وصبر طويل.

وإنما الأمر اللافت للنظر هنا هما قضيتان إجماليتان، الأولى هذه: تغيير فى الموقف من الناحية العملية فى التبشير؛ أى أنها لم تعد تتم عن طريق فرق المبشرين والمستشرقين فحسب، وإنما أصبحت تقع على عاتق كافة أتباع المسيحية أيًا كانت انقساماتهم العقدية، مع تغيير الأسلوب القائم على التجريح، والسب، والسخرية، وتحريف معنى القرآن والسنة، حيث إنه أسلوب قد ثبتت عدم فعاليته على مر القرون، فالإسلام ينتشر بثبات ورسوخ. وأصبح الاعتماد على الدراسة والتحليل والبحث عن منافذ للتسلل من خلالها بالتدريج هو القانون الجديد، مع تفادى المناقشات الجادة والمواجهات، والتلفع بمسوح الود والاحترام حتى يتم الاغتيال. وذلك امر ليس بحاجة إلى تعليق أيضًا، فليجاهد المتعصبون كما شاءوا، فما من مسلم إلا ويؤمن بأن: لا إله إلا الله. وأن الدين عنده هو الإسلام، وأن الله هو الذى أنزله وهو حافظه .

أما القضية الثانية: والتى تستوجب الرد والتعليق، فهى استمرار المتعصبين فى الكرسى الرسولى -بكل مؤسساته- فى عملية تحريف النصوص الإنجيلية لإثبات صحة أقوالهم وأفعالهم، بغية إقناع أتباع الكنيسة -أينما كانوا - والاستعانة بهم فى تنفيذ مخططاتهم. وذلك دون أدنى اهتمام بما يعتمل فى نفسية أتباعهم، ولا بالمعاناة التى يفرضونها عليهم بجعلهم يعيشون ويتعاملون بوجهين إلى جانب ما يعانونه من اهتزاز إيمانهم بدين ما زال يتم تحريفه تحت أعينهم.

ويستشهد واضعو الوثيقة، لإثبات مزاعمهم، بأن الله هو الذى يطالبهم بعملية تنصير العالم (بسفر التكوين الإصحاح الأول الآية١١) وتقع هذه الاية فى الفقرة الثالثة من الإصحاح التى تتحدث عن خلق الأرض. فالآية التاسعة والعاشرة عن إظهار اليابسة، عن الأرض والبحار، والآية التالية فى هذه الفقرة والتى هى برقم (١١) عن إنبات الأرض، إذ تقول الآية: "**وقال الله لتنبت الأرض عشبًا وبقلاً يبرز بزرًا وشجرًا ذا ثمر يعمل ثمرًا كجنسه بذره فيه على الأرض**" !. أى إن الآية لاتشير إلى أى تحالف بين كافة البشر، كما يزعم واضعو الوثيقة، ولا إلى ضرورة تنصير هؤلاء البشر، فالبشر لم يكن موجودًا آنذاك ولم يأت ذكر خلقه، إلا فى الفقرة السادسة، بعد خلق الليل والنهار خلق الطير وذوات الأنفس الحية، وبعد خلق البهائم والدابات والوحوش ! وعندئذ، قال الله فى (الآية :٢٦): "**نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**". كما أن الآية الثانية عشرة، أى تلك التى تلى الآية التى نحن بصددها تقول، بعد خلق العشب والبقل والشجر :"**فأخرجت الأرض عشبًا وبقلاً يبرز بروزًا كجنسه وشجرًا يعمل ثمرًا بذره فيه كجنسه**". أى إنها تؤكد معنى الآية الحادية عشرة الخاصة بإنبات الأرض، ولا علاقة لها بالبشر، ولا بتنصيرهم. فالإنسان لم يكن قد تم خلقه بعد وفقًا لما يقوله الإنجيل الذى يستشهد به المحرفون. ولا نرى كيف فهموا منها " **أن الله قد تحالف مع كافة الشعوب**" وفقًا لما هو وارد فى العهد القديم (سفر التكوين ١١/١) ؟

ويزعم واضعوا الوثيقة: أن يسوع هو أول من بدأ عملية الحوار مع غير المسيحيين ومنهم السامرية، التى حدثها عن ذلك اليوم الذى لن تكون فيه العبادة محدودة بمكان ما، وإن المعبد الجديد هو جسد يسوع الذى بعثه الله مستشهدين بإنجيل يوحنا (٢٣/٤) .

وبالرجوع إلى هذا الجزء من الإصحاح نجد: أنه يتحدث عن تغيير مكان العبادة وأنه سيأتى اليوم الذى "لن يكون محور العبادة والسجود لا فى هذا الجبل (ويقصد الجليل شمالا) ولا فى أورشليم تسجدون للآب"، ولا توجد أى إشارة إلى أن جسد يسوع هو المعبد الجديد، بل إن هذه الآية من الإشارات الواضحة

الدالة على انتقال محور الرسالة إلى مكة المكرمة وترتبط بكل الآيات المتناثرة فى الإنجيل بعهديه حول مجئ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولا ترد أى إشارة فى هذا النص عن أن المعبد الجديد هو **"جسد يسوع"** .

كما نخرج من هذه الآية (يوحنا ٢٣/٤) بأن الصلاة أيام السيد المسيح كانت سجودا لله سبحانه وتعالى، ومن الواضح أنه تم تغييرها فى المجامع لإبعاد أى تشابه مع الإسلام .

وهذه الآيات من (٢٤ :٢٦) بالإصحاح الرابع لإنجيل يوحنا بحاجة إلى وقفة أخرى لها مغزاها فاليهود يبغضون السامريين ولا يتعاملون معهم، ومع ذلك وقف يسوع يحدث السامرية، بل لقد باح لها بما لم يتفوه به لأحد من أتباعه .

وعلى الرغم من أن اليهود والسامريين يعبدون نفس الإله ويطلقون عليه نفس الاسم: يهوه، ويتبعون سفر التثنية، وأسفار موسى الخمسة، إلا أن الخلاف بينهم ينصب فى أن الله فى نظر السامريين قد لاح لموسى على جبل جريزيم، وليس على جبل صهيون كما يزعم اليهود. أى إن الخلاف عقدى من حيث نزول لرسالة .كما أن السامريين لايؤمنون ببعث الموتى، مثلهم مثل الصادوقيين، وهم ملتزمون بأسفار موسى الخمسة التى لا يرد بها أى ذكر للبعث. بل إن السامرين يعتبرون داود مرتدًا لأنه أقام مركز العبادة فى أورشليم، لذلك استبعدوا اسمه من نص العهد القديم الخاص بهم .

ومن الغريب: إذن أن نرى يسوع يتحدث مع سامرية، بل والأدهى من ذلك أنها سامرية زانية لها خمس أزواج، وتعيش مع آخر ليس زوجها، أى إنها زانية عاهرة، ثم نراه ينبئها بما لم يتفوه به لأى فرد من حوارييه ؛ إذ إنه ينبئها بأنه المسيح المنتظر: **"قال لها يسوع أنا الذى أكلمك هو"** (يوحنا ٢٦/٤). والجدير بالذكر، أن هذه هى المرة الوحيدة التى يرد فيها هذا الكشف عن حقيقة يسوع -وفقًا لأقوالهم- فى الأناجيل المعتمدة ولعل تلك الواقعة هى التى جعلت آباء الكنيسة يترددون عدة قرون قبل اعتبار انجيل يوحنا من الأناجيل المعتمدة.

ولا نقول شيئا حول مصداقية هذه الواقعة برمتها، إذ يقول يوحنا فى (الآية٤) من نفس هذا الإصحاح: إن تلاميذ يسوع **"كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا"** ! أى إن يسوع كان بمفرده مع السامرية ...... فمن أين ليوحنا بهذه المعلومة، خاصة أنه يقول فى بداية إنجيله إنه شهد ما حدث، ومن المعروف والثابت وثائقيًا أنه لم ير يسوع وأن هذا الإنجيل قد كتب فيما بين عام (٩٠ و١٤٠) ؟

ولم نشر إلى هذه التفاصيل إلا لورودها ضمنًا فى الآية التى يستشهد بها واضعوا الوثيقة من ناحية، ولكى نوضح، من ناحية أخرى، بعضا مما يذخر به العهد الجديد خاصة من تحريف وتلاعب، وكل الذى مازال يتضمنه من متناقضات نتيجة لذلك، لا تؤدى إلا إلى مزيد من الهجرة الصامتة للأتباع ولقيادتها العالمة ببواطن الأمور.

ويستند واضعو الوثيقة بتلفيقة أخرى حينما يقولون :**"إن يسوع يعلن صراحة أنه الملك"** (يوحنا ١٨/٣٣-٣٧). ولا داعى لإضافة أن هذا الزعم يتضمن تحريفًا جديدًا لنصوص الإنجيل فالمعروف لدى الجميع - وفقًا لما كتبوه وظلوا يرددونه لمدة ألفى عام تقريبًا- أن يسوع قد رفض ذلك ولم يعلنه كما يزعمون.

إذ تقول الآيات: **"ثم دخل بيلاطيس أيضًا، إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عنى. أجابه بيلاطيس ألعلى أنا يهودى أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى. ماذا فعلت. أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود ولكن الآن ليست مملكتى من هنا فقال له بيلاطيس أفأنت إذا ملك أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك"** .

ولا نعتقد أن رد المسيح، يمكن أن يعنى أى شئ آخر سوى رفضه بأن يكون ملكًا. ولا ندرى كيف فهمها المحرفون على عكس ما تقول الآية .

وتنص الوثيقة على: أن الديانات الأخرى "**انعكاس لمحدودية الفكر الإنسانى الذى يميل إلى اختيار الشر**" وأنه لا يجب على المسيحى "**أن يغمض عينيه على ما بها من متناقضات تفصل بينها وبين المسيحية**". وهنا لايسعنا إلا أن ندعو واضعى هذه الوثيقة إلى تأمل "**فحوى المتناقضات**" التى فرضوها هم على رسالة التوحيد. فالتسلسل التاريخى المعروف للجميع، وخاصة لدى متعصبى الكرسى الرسولى، أن رَسالة التوحيد واحدة لا لبس فيها، وأنها نزلت فى الوصايا العشر على موسى عليه السلام، وحينما انحرف اليهود، وعادوا للوثنية وقتل الأنبياء، أتى السيد المسيح عليه السلام من أجل خراف إسرائيل الضالة .

وهذا الانحراف عن العقيدة يؤكده بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل رومية إذ يقول: "**ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف توسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا: يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى**" (١١/٢-٣). وحينما انحرف المسيحيون عن رسالة التوحيد وأشركوا بالله سبحانه وتعالى، وقاموا بتحريف النصوص وهم يعلمون ؛ أنزل الله رسالة التوحيد للمرة الثالثة والأخيرة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم النبيين وخاتم الرسالة .

ومن غير اللائق، لكى لا نقول من العار أن يواصل واضعو هذه الوثيقة استخدام التهم الماضية التى ألصقوها بالتنزيليين التوحيديين الآخرين وخاصة الإسلام ، فى الوقت الذى يتشدقون فيه بعبارات من قبيل ضرورة "**احترام**" الطرف الآخر والتزام "**الصدق**" فى التعامل !

ويستشهد واضعو الوثيقة بأن السيد المسيح قال لأتباعه :"**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**" ....إلخ (متى ٢٨/١٨-٢٠). وهذه الآيات بالذات من الايات التى تمت إضافتها على النص

الإنجيلى بغية إضفـاء مصداقيـة لعمليـة التحريـف الخاصـة بـالتثليث ؛ وذلـك لأن صيغة التثليث هذه لم تعرف إلا قبل نهاية القرن الثانى، وأن أقدم استعمال لها يرد عند ثيوفيلس الأنطاكى فى كتابه المعنون: "إلى أوتوليكـس". وهـو مـن عمليـات التحريف التى أدت إلى الانقسامات الجذرية فـى العقيـدة نفسـها. وأهمهـا تلـك الحركة التى قادها آريوس (٢٥٦-٣٣٦) أسقف الإسكندرية. إذ أن موقفه هذا هو الـذى أدى إلى انعقـاد مجمـع نيقيـا الأول عـام ٣٢٥ وهـو المجمـع الـذى قـام بصياغة عقيدة الإيمان فى شكلها النهائى والمعروف بعقيـدة التثليـث، أى مساواة الله عز وجل بالسيد المسيح والروح القدس .

كما أن إنجيل يوحنا الـذى تـرد فيه هــذه الآية قـد كتـب فيمـا بـين سـنة (٩٠ و١٤٠) أى بعد المجمع الأول المنعقـد فـى القـدس عـام (٥١) الـذى تم فيـه إقرار التحريفـات الجذريـة التـى قـام بهـا بولـس الرسـول فـى العقيـدة المسـيحية الأصلية. وإقحام عبارة التثليث فى النص الإنجيلـى لاتكسـبها أيـة مصداقيـة، لأن السيد المسيح لم يكف عن ترديد وتـأكيد الفـارق الـذى بينـه وبـين الله سبحانه وتعالى .

ومن ناحية أخرى، نطالع فى أعمال الرسل، الإصحاح الثـانى الآيـة (٣٨) أن التعميد كان يتم باسم يسوع: "**وليتعمد كـل واحـد منكـم علـى اسـم يسـوع المسيح**". وبذلك فلا يعرف المرء من الأصـدق، مـا يقولـه بولـس الرسـول أم مـا أضافته المجامع من تحريف ؟

ويستند واضعوا الوثيقة بآية أخرى لإثبات أن الرب هو الذى يطالبهم بالقيـام بعملية التبشير هذه، وهى الآية التى تنص قائلة: "**اذهبوا إلى العالم أجمع وأكـرزوا بالإنجيل للخليقة كلها**" (مرقس ١٦/١٥) أولا: من المعروف والثابت تاريخيًا، أن العهد الجديد برمته قد تمت كتابته بعد وفاة السيد المسيح، وفيمـا بـين عـام (٧٠ و١٤٠) بتواريخ مختلفة لكل إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة. فكيـف يطـالب السيد المسيح أتباعه أن يكرزوا بإنجيل لم يكن مكتوبًا فى عهده؟ اللهـم إن لم يكن

السيد المسيح يقصد إنجيله هو الذى كان هـو يكـرز بـه وأخفتـه الأيـادى العابثـة لترو ج تحريفاتها .....الأمر الذى يفتح قضية أخرى ليس هنا مجال تناولها.

كما أن عبارات من قبيـل تبشـير **"الخليقـة كلهـا"** أو **"كـل الأمـم"** عبـارات تكشف عمليات التحريف أكثر مما تؤيد الدعوة إلى التبشير، فلو افترضنا صحتها، أو صحة ورودها فى النص أصلا وهو أمر مشكوك فيه قطعا، فإن معناهـا قـاصر على جمهور الحـاضرين أى الإسـرائليين بمختلـف طوائفهـم، ولا يعنـى أنهـا تمتـد لتنطبق علـى شـعوب وقـارات لم تكـن معروفـة للجماعـة آنـذاك، بـل و لم تكـن مكتشفة أساسًا. الأمر الذى أدى إلى هز العقيدة المسيحية فى القرن السابع عشـر من مجرد اكتشاف قارات وحضارات وديّانات مغايرة. بل ولعدم ورود أسماء مـن قبيل أمريكا أو أستراليا وغيرها فى نصوص الأناجيل ؛ وإنما المقصود بعبارة **"جميع الأمم"** هذه مختلف أهل بيت إسرائيل، و أسباطه كما هو وارد بأعمال الرسل .

ويستشهد واضعوا الوثيقة لإثبات عالمية دور الكنيسة وضرورة قيامها بالتبشـير بآية من أعمال الرسل تقول: **"فليعلـم يقينًـا جميـع بيـت إسـرائيل أن ا لله جعـل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا"** (٣٦/٢). وأهم ما يلفـت النظـر فى هذه الآية هو التأكيد على أن اليهود هـم الذيـن صلبـوا السـيد المسـيح، كمـا ظلت الكنيسة ترذد ذلك لمدة ألفى عام تقريبًا وفقًا لقول بولس الرسـول، ووفقًـا للمجامع، ثم قام مجمع الفاتيكان الثانى عام ١٩٦٥ بتبرأة اليهود من هذه التهمة؟ وهى ليست الآية الوحيدة بالإنجيل التى تؤكد: أن اليهود هم الذين **"قتلوا"** السيد المسيح .

إذ يقول بطرس الرسول، رئيس الكنيسة الكاثوليكية :**"هذا أخذتمـوه مسـلمًا بمشـورة ا لله المحتومـة وعلمـه السـابق وبأيـادى آثمـة صلبتمـوه وقتلتمـوه"** (أ.ع٢/٢٣). ثم يقول للإسرائيليين أيضًا: **"........يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه .....ورئيس الحياة قتلتموه"** (أ.ع ١٣/٣). ويقـول لهـم أيضًـا: **"ياقساة الرقاب** وغير المختونين بـالقلوب والأذان .....أى الأنبياء لم **يضطهده**

أباؤكم وقد قتلتوا الذين سبقوا فأنبأونا بمجئ البار الذى أنتم الآن صرتم مسلمية وقاتليه" (أ. ع ٧/٥١-٥٢) .

وهذه الآية الأخيرة لاتدل على تسليم اليهود للسيد المسيح وقتله فحسب، وإنما تدل أيضًا، على قتلهم الأنبياء وعن حيدهم عن التعاليم الأولى .

ومن الأمثلة الدالة على تلاعب المسئولين بالفاتيكان بمختلف النصوص وفقًا للأغراض والأهواء تبرأتهم من قتل السيد المسيح - كما يقولون- وإلقاء تهمة وتبعية مقتله "على الإنسانية جمعاء" وذلك كما تنص وثيقة ١٩٦٣ عندما احتج المحتجون على ذلك عاد الفاتيكان وعدل من تهمته وقصرها على كافة المسيحين!

أما الآيات التى يستشهد بها واضعوا الوثيقة لمواصلة إثبات وجوب عملية التبشير، ما يقوله بولس فى رسالته إلى أهل أفسس، والتى تبدأ بعبارة :"لى أنا أصغر جميع القديسين" إلخ (٣/٨-١١)، وما قاله قبلها فى رسالته إلى أهل رومية من أنه"المدعو رسولا" (١/١) ولن نتناول عملية التبشير وإنما ما يخرج من فحوى هذه الآيات: من أن بولس هو الذى لقب نفسه رسولاً ثم لقب نفسه قديسًا، ليوضع على لسانه أن يسوع قد "بذل نفسه فدية لأجل الجميع" (الرسالة الأولى إلى تيمواثارس ٢/٤٠٦) ومن الغريب أن يؤكد هذا الرسول القديس فى الآية التالية أنه صادق لايكذب ! "الحق أقول فى المسيح ولا أكذب" (٢/٧) !!

ومن النماذج الدالة على التلاعب بالألفاظ، استخدام أجزاء معينة من الآية الواحدة لإثبات معنى غير المعنى المقصود منها، وذلك مثلما يستشهد به واضعوا الوثيقة فى إلحاحهم بالإسراع فى عملية التبشير :"فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وهكذا يولد الإيمان بالتبشير والتبشير يتم بكلمة يسوع" (رسالة بولس إلى أهل رومية ١٠/١٤) .

وبالرجوع إلى الإنجيل لنرى ما تم حذفه وأشاروا إليه بالنقاط الثلاث نجد أن الجزء المحذوف يقول :"وكيف يكرزون إن لم يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل

إقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات" (١٠/١٥) أى أن الآية تنص على التبشير بالسلام وبالخيرات، لكن الأيادى المتلاعبة حذفت العبارتين ليبدو النص وكأنه يشير إلى ضرورة التبشير بالمسيحية !!

ولا تمثل هذه النماذج سوى شذرات جد قليلة من غثاء كثير هو الوثيقة برمتها. لكنا اكتفينا ببضعة آيات، مازالت قائمة فى الكتاب "المقدس" لنضرب مثلاً على استمرار التيار المتعصب فى الكنيسة الفاتيكانية فى تلاعبه بالنصوص وبعقول الأتباع وبالعالم أجمع ! .

فإصرارهم على أن التبشير ليس بمهمة اختيارية ، وإنما "**واجب بأمر الرب ورسالة فريدة لايمكن استبدالها**" وضرورة العمل على أن "**يرتد المطلوب تنصيرهم طواعية**" وأنه "**يتعين على الكنيسة أن تتبع العلم التربوى الإلهى وأن تقتفى خطى مدرسة يسوع فى التبشير تدريجيا وبعناية فائقة وصبر طويل**" لايعنى إلا تناقضًا صارخًا لما يعلنونه ويتشدقون به عن الحرية وحرية العقيدة واحترام الأغيار. بل إنه قول لا يعنى فى واقع الأمر إلا أننا نتعامل مع أناس بوجهين ونصوص بوجهين فى ساحة فرض علينا فيها الجهاد ولا رجعة فيها .

بقيت نقطة أخيرة، لابد من توضيحها، أو التعقيب عليها فى هذه الوثيقة، وهى خشية واضعى هذه الوثيقة على أتباعهم منهم خشيتهم على من يقومون بعملية التبشير ودخولهم فى مناقشات جادة مدعمة بالوثائق العلمية والمقنعة منطقيًا، مما ينتج عنه تباعد الأتباع بسبب ماسيكتشفونه من تحريف فى نصوصهم الإنجيلية، وبذلك يفقدونهم بدلاً من أن يكتسبوا بهم آخرين ؛ وخشيتهم منهم، ممن يقومون بعملية التبشير وهم غير مقتنعين بها، أو غير مزودين باليقين المقنع الكافى "**فى مواجهة رسوخ الميراث الإسلامى**". الأمر الذى يكشف عن حقيقة موقف أولئك القادة المحرفون "**الذين يكتمون الحق وهم يعلمون**" .

ومما يؤسف له أن نسمع الكاردينال أرينزى، وهو الموقّع مناصفة على هذه الوثيقة، يتحدث فى الخامس من شهر مايو ١٩٩٥ فى الندوة التى انعقدت بمدرسة سان جورج الإعدادية، بمناسبة مرور سبع وخمسين عامًا على تأسيس جماعة "**الإخاء الدينى**" .

نقول من المؤسف أن يتحدث الكاردينال ارينزى، المسئول عن الحوار الدينى فى الفاتيكان، ويتشدق فى هذا اللقاء عن تنمية العلاقات بين الإسلام والمسيحية، وأن هذه التنمية تقوم على "**العلاقات الطيبة، والألفة، والتعاطف، والإخاء، ويحترم كل منهما الآخر، ولايعتدى عليه ولايظلمه**" .ثم يطالب القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية "**بأن تبذل مزيدًا من الجهد فى تنمية العلاقات الطيبة بينها، وأن يكون المنطلق هو القاعدة الذهبية المثبتة فى كل الديانات هو العمل للآخرين كما تريدون أن يعمله الآخرون لك**" !! ؟

نعم، من المؤسف والمخزى فى آن واحد أن يتحدث الكاردينال بهذه الكلمات المعسولة، فى الوقت الذى يقوم فيه فعلا وفى الواقع بالعمل على فرض الارتداد على المسلمين وأمرهم بالدخول فى سر المسيح وفقا لتلك الوثيقة التى صدرت باسمه فى عيد العنصرة فى ١٩ مايو ١٩٩١، بعنوان: "**الحوار والتبشير**".

ولانتصور كيف يرى سيادته تنفيذ عبارته القائلة :"**وأن يكون المنطلق هو القاعدة الذهبية المثبتة فى كل الديانات هو العمل للآخرين كما تريدون أن يعمله الآخرون لك**" ؟ كيف يساهم سيادته فى مخطط اقتلاع دين، ويطلب من أتباع هذا الدين المحكوم عليهم بالارتداد عن إسلامهم ألا يردوا إلا بكل خير وود، ألا يمثل ذلك قمة النفاق فى عالم الحيوان، على حد قول النكتة، حينما يقوم الأسد بسؤال فريسته: "**آكلك مسلوقًا أم مشويًا**" ؟!

ويا لها من نكتة مريرة مهينة، حينما تصدر عمن يعتلون أعلى المناصب القيادية، وعمن يزعمون أنهم يتحدثون باسم أحد أنبياء الله الصالحين، أو إحدى شخصيات الله كما يقولون، بعد أن حرفوا ودنسوا أقواله وأفعاله .

وفى نهاية هذا العرض الخاطف المحبط لإحدى الوثائق الكنسية الرسمية الهامة، لانملك أن نتوجه باللوم إلى الكاردينال أرينزى، رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان، فهو فى -نهاية المطاف- يقوم بتنفيذ أوامر رئيسه المباشر فى التدرج الوظيفى الكنسى، أى إنه يقوم بتنفيذ أوامر وتعليمات وقرارات البابا يوحنا بولس الثانى. وإنما نتوجه إليه بسؤال حول مقولته فى ذلك اللقاء الذى حضره فى القاهرة وتحدث فيه فى لجنة الإخاء الدينى، فى الخامس من شهر مايو ١٩٩٥ والذى اختتم كلمته بتنميه العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، **"وضرورة أن يحترم كل منهما الآخر، ولا يعتدى عليه ولا يظلمه" !!**

ترى بما يسمى كل ما يقوم به ويساهم فيه من محاولات حثيثة وغير أمينة لاقتلاع المسلمين من دينهم، إن لم يكن اعتداءً وظلمًا ؟!

مجرد سؤال ندعو سيادة الكاردينال أرينزى إلى تأمله والرد عليه، لا بصفته الوظيفية الرسمية، وإنما بصفته إنسانًا .... أن يرد عليه من أعماق ذلك الضمير الحى الذى لا يمكن لأى وظيفة أن تخمده ؛ وذلك الضمير الحى الذى سيواجه به الله سبحانه وتعالى .

الفهـــارس

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأعلام.

٣- فهرس الأحزاب والمذاهب والشعوب .

٤- فهرس المجامع.

٥- فهرس الكتب.

٦- فهرس الأماكن.

٧- فهرس المحتويات.

فهرس الآيات

فهرس الأعلام

فهرس الديانات والأحزاب والمذاهب والشعوب

فهرس المجامع

فهرس الكتب

فهرس الأماكن

فهرس المحتويات

تمت

رقم الإيداع

٩٥ / ٥٩٧٨

I.S.B.N

977 - 5668 - 00 - X

هذا الكتاب

يمر العالم اليوم بفترة عصيبة من التغير والتشوف إلى التغيير ويحاول أهل الأديان أن يتحدوا فى صعيد واحد ضد الفساد والإفساد بكل صوره، وشاع بينهم، النداء للحوار، والتفاهم بين الأديان، والشعوب؛ إلا أن بعضهم وعلى الرغم من الخطر الداهم، له مفهوم للحوار لا يؤدى إلى التواصل والاتحاد بل يؤدى إلى العناد والفساد، وهذا الكتاب دعوة قوية لتوضيح معنى الحوار وشجب التحريف والانحراف الذى يحاول بعضهم؛ وخاصة مؤسسة الفاتيكان أن تلحقه بمفهوم الحوار؛ الذى هو فى أبدع صوره؛ الجدال بالتى هى أحسن، والذى هو فى أروع معانيه؛ الاتحاد والتعايش السلمى.

الفاتيكان، والإسلام موقف لابد أن يحدد، وأن ننتهى من الصراع بمشاكله الواضحة، والخفية ونتحد أمام طغيان الإلحاد الأسود والإفساد المتعمد.

الناشر